أسطورة أوديب

في المسرح المعاصر

عند

أندريه جيد

جان كوكتو

توفيق الحكيم

علي أحمد باكثير

علي سالم

بقلم: مصطفى عبد الله



أسطورة أوديب
في المسرح المعاصر

عند
أندريه جيد
جان كوكتو
توفيق الحكيم
على أحمد باكثير
على سالم

بقلم : مصطفى عبد الله

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٣

المقدمة

كان من الطبيعي أن أتعرف ، أول ما أتعرف ، على المسرح من خلال احتكاك بأعمال من مسرحنا المصرى ، ولكبار كتابه • ولكن ، هذا مالم يحدث معي • فلقد تعرفت على المسرح ، كفن حقيقى ، من خلال مسرح اليونان الكلاسيكى •• وأعظم مسارح العالم قديمه وحديثه فى رأيى • وكان ذلك عندما طالعت « أوديب ملكا » من أعمال « سوفوكليس » •

لقد كانت أسطورة أوديب ومسرحية سوفوكليس لى بمثابة « المعبر » أو « الجسر » الذى امتد أمامى ليوصلنى ـ بعد أن أبحث ـ الى أرض « اليونان » •• منبع المسرح الأصيل ، كما تعلمنا ، ويكفينى ان بدأت من النبع الأصيل لا من الرافد الهزيل • منذ ذلك اليوم ، وأنا دائم التفكير فى أسطورة من قتل أباه وتزوج من أمه •

وان كانت الرؤيا تختلف من آن لآخر باختلاف وتطور الفهم والعلم والثقافة ، التى تختلف اليوم بلا شك عنها منذ سنوات أربع خلت •• فجرت الكثير •• وغيرت من الكثير •

لعل اختيارى لموضوع هذا الكتاب قد اتضح سببه الآن • ولقد كانت فكرته فى البداية ، هى دراسة المسرحيات الثلاث التى

عرضها مسرحنا المصرى كمعالجات ، أو استلهامات ، أو استيحاءات من الأسطورة القديمة ·· أقصد أسطورة أوديب ، تلك المعالجات الثلاث التى كتبها الأساتذة :

توفيق الحكيم – على أحمد باكثير – على سالم ·· بالنثر

وعندما طرحت فكرة البحث ، أقتنعت بأنه من الافضل أن يشتمل على المعالجات التى تناولت الاسـطورة فى كل من المسرح الفرنسى والمصرى المعاصر ·· وبالتحديد عند كل من :

أندريه جيد ، جان كوكتو ، توفيق الحكيم ، على أحمد باكثير ، على سالم ·

وبدأت رحلة البحث الشاقة المتعة فى الموضـوع الذى شغلنى كثيرا · وخرجت من رحلتى ببحث فى ستة أبواب مقسمة الى قسـمين : فى الأول تحدثت عن الأسـطورة ، ومعالجة سوفوكليس لها ، والتى ان بدت للوهلة الأولى أنها بعيدة الصلة عن البحث فى أسطورة أوديب فى المسرح الفرنسى ، أو المسرح المصرى المعاصر · الا أننى أرى أنهـا لصيقة الى أقصى درجـة بموضوعى · فمن حين لآخر كنت أعود لأقارن بين مسرحيـة سوفوكليس وبين أى من المسرحيـات الخمس الأخرى تارة ، أو بين الأسطورة ومسرحيـة سوفوكليس واحدى المسرحيـات الخمس فى وقت واحد تارة أخرى ·

وقد كان منهجى فى البحث هو الاعتماد على النص وحـده ، لأحصل على الاستنتاجات من داخل العمل لا من خارجه · فدراسة النص عندى كانت الهـدف والغاية ولذلك كان اهتمامى بصـلب الموضوع ·· « بالأسطورة فى المسرح الفرنسى والمصرى المعاصر » · لا بمن عالجوا هذه الأسطورة ·· ذواتهم ·

وعليه . فلم يكن اهتمامى كبيرا بأى من : أندريه جيد ، أو جان كوكتو . أو توفيق الحكيم ، أو علي أحمد باكثير . أو على سالم ، فى حد ذاته • فلم أكتب عن أى منهم فصــولا طويلة ، أو صفحات وصفحات . بل اكتفيت بالكتابة عنهــم بشكل عابر على سبيل التقديم ، أو التوضيح . أو القاء الضوء • وهذا مقصود مني ولاريب وليس مرجعه تقصيرا ، أو عجزا ، عن الكتابة صفحات وصفحات عن كل منهم ، وعن ميــلاده •• وحياته •• وانتاجه الأدبى •• ومماته •• ان كان قد مات •

ولما أحسست بتزايد صفحات البحث تزايدا كبيرا ، وكدت اسمعها تطلب مني أن آكف عن أن أثقل على كاهلهــا بالمزيد • ولما كانت المسرحية الواحدة للكاتب تحتــاج منــا لكم من الوقت طويل أو كبير من أجل الاحاطة بكل جوانبهــا ، ثــم عرضــهـا وتحليلها • فكم من الوقت كنا سنحتاجه ان كنا اعتزمنا الكتابة عن كل من كتابنا الخمسة ؟

لذلك كله قررت أن أستمر فى رحلتى وفق المفهــوم الذى وضعته لها •

وكل مبتغاى أن أكون قد وفقت فى الاقناع بوجهة نظرى •

والله الموفق ،،

مصطفى عبد الله

[مدينة نصر]

الجزء الأول

● مفتتح عن الأسطورة :

ـ أسطورة اوديب

ـ تاصيل الأسطورة

● الباب الأول :

ـ مسرحية « أوديب ملكا » : لسوفوكليس

اسطورة أوديب في المسرح الفرنسي المعاصر

● الباب الثاني :

ـ مسرحية « اوديب » : لأندريه جيد

● الباب الثالث :

ـ مسرحية الآلة الجهنمية » : لجان كوكتو

حكاية عن الاسطورة

« الاسطورة حكاية تعيش منذ القدم فى تقاليد قبيلة أو جنس أو أمة ، يتوارثها خلف عن سلف ، وتدور حول الآلهة وأنصاف الآلهة والأحداث الخارقة ، وتختلف عن الملاحم التى تسجل أفعالا انسانية وعن الحكايات الخرافية التى ابتكرت لأغراض التعليم والتسلية ·

والأسطورة تنتهى الى أشكال الحضارة القديمة ، وترجع الى مرحلة سابقة على العلم والفلسفة · فهى تفسر بمنطق العقل البدائى ظواهر الكون والطبيعة والانسان » (١) ·

اسطورة أوديب :

وأسطورة أوديب من أعرق أساطير اليونان التى عرفها ، أول ما عرفها المسرح اليونانى الكلاسيكى والتى مازالت تعيش بيننا حتى اليوم ·

ومسرحية « أوديب ملكا أو حاكما » لسوفوكليس ــ وان لم تكن المعالجة الأولى الدرامية لهذه الأسطورة ، فقد سبقتها محاولة

(١) عثمان نويه : الكاتب العربى والأسطورة · (المقدمة) · المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ــ القاهرة ــ ١٩٦٨ ·

اسخيلوس التى لم تصل الينا وان كنا قد علمنا بها من خلال كتب تاريخ الدراما ـ تعتبر ، بحق وعن جدارة ، أعظم المسرحيات التى ظهرت فى المسرح الكلاسيكى اليونانى والتى اعتبرها ناقد الدراما الأول « أرسطو » أو «Arestotle» فى كتابة « فن الشعر » نموذجا للمسرحية الكلاسيكية الجيدة الملتزمة بقواعده ، وقد طبق عليها نظريته فى الدراما • أو ما عرفت بنظرية أرسطو » •

ومن هنا اكتسبت هذه المسرحية شهرة واسعة فى العصر الكلاسيكى يونانيا كان أو رومانيا ثم فى بقية العصور ولا سيما فى عصرنا الحديث •

فقد عالجها فى مسرحنا المصرى : توفيق الحكيم ثم على أحمد باكثير ، واستوحى منها على سالم مسرحية كوميدية سماها «كوميديا أوديب أوأنت اللى قتلت الوحش ، وحديثا تناولها الدكتور فوزى فهمى بعنوان « عودة الغائب » هذا ، وقد سبق كلا من : أندريه جيد و جان كوكتو ، توفيق الحكيم بمعالجتهما لأسطورة أوديب فى المسرح الفرنسى المعاصر •

ـ ولكن ، ماهى أسطورة أوديب ؟

والى أى أصل ترجع هذه الأسطورة ؟

كان « لايوس » ملكا على مدينة طيبة فطرد منها ، وعندئذ ذهب الى « ببلوبس » ملك « طنطاله » طالبا اللجوء اليه ، ورغم اجابة ملك طنطالة لـلايوس فقد تركه الأخير بعد أن اختطف ابنه « كريسبس » •

ويستعيد « لايوس » عرش طيبه ، ويتزوج من الأميرة « جوكاست » ويعيش معها عيشة سعيدة راضية لا يكدرها الا افتقادها الولد •

وفى محاولة للتعرف على سبب ذلك العقم الذى يباعد بين الملك والملكة من ناحية وبين وليد لهما من ناحية أخرى ، يستشير وحى الاله « أبوللو » الذى ينتهز الفرصـــة ليطـلع « لايوس » على ما قدر عليه من لعنة نتيجة لفعلته النكراء مع ملك طنطاله . يخبره الاله بانه سيرزق الولد ، ولكن ما أن يأتى ذلك المنتظر حتى يقتل أباه ، ويتزوج من أمه .

وما أن يعلم لايوس بالوحى حتى يعيش مهموما .. مفكرا فى أمرين أحلاهما مر ، الولد الذى يتمناه ليملأ عليه القصر سعادة وحياة فيخلد ذكره ، والوحى الذى يقول أنه ســيقتل بيد ذلك الابن الذى سيتزوج من أمه أيضا .

وبعد طول تفكير يؤثر الملك العقم على الولد ذلك العقم الذى فيه الحياة له حتى لو لم يكن فيه الخلود ، بل انه أصبح واضحى يحرص على ذلك العقم حرصـه على الشىء الثمين الذى يخاف عليه من الضياع .

« غير أن القضاء ماض ، فما هى الا فترة حتى يرزق لايوس من زوجته جوكاست هذا الغلام الذى أنذره أبوللو أنه ســيذيقه الموت ! .

هنالك . يستأثر الحرص على الحياة بنفس الملك ، فأزمع أن يقتل ابنه قبل أن يقتله هذا الابن ، واســلم الطفل الى راع من رعاته ، وكلفه أن يلقيه على الجبل نهبا للسباع (١) .

وتقول الروايات أن الراعى قد حمل الطفل لينفذ فيه أمر الملك ، الا أنه لما نظر فى وجهه ولمح البراءة والطهر قرر الا يفعل

---

(١) د. طه حسين . مقدمة أوديب ملكا لسوفوكليس . ص ٧ مطبـوعات كتابى ــ القاهرة .

ما أئتمر به فقد استيقظ ضميره ، وخاف من بطش الآلهة به لو هو ارتكب ذلك الجرم · فقرر أن يطرحه في العراء ، ليلقي ما كتب له أن يلقاه · فلو كتبت له النجاة فسينجو بلا شك · ولو كتب له الهلاك فستفتك به وحوش البرية منفذة ما كتب الاله ·

ويبكى الطفل ، فيهتدى اليه راع آخر لملك كورنثه ، كان يبحث عن احدى نعاجه الضالة ، فيشفق على الصبى ويأخذه الى الملك والملكة اللذين كانا يعانيان من العقم الذى حال بينهما وبين الذرية الصالحة · ففرحا كثيرا به وأسمياه « أوديب » أى متروم القدمين · واتخذاه ولدا ، فكتبت لأوديب الحياة مرة ثانية · وشب فى القصر الملكى ابنا لبوليب الملك وميروب الملكة · شب أوديب قوى البنية ·· ذكيا ·· بعيد النظر ، ولكنه كان جاهلا بأصله ·

وفى يوم من الأيام عيره شاب بأصله المجهول ، فثار أوديب وحاول التعرف على الحقيقة ممن كان يظنها أمه ، ولكنها رسمت على وجهها شيئا من الخداع لتخبره انه ابنها · ولكنه ، أحس بذلك فخرج الى معبد « دلف » يستشير وحى الآلهة ، وكما سبق وأخبر أبوللو لايوس بما كتب عليه من لعنة نتيجة لفعلته النكراء وجحوده لجميل ملك طنطاله ،فهاهم كهنة أبوللو يخبرون أوديب، وقتئذ ، بتلك اللعنة المتوارثة ، وبذلك الوحى المشئوم ·

يقول الاله : اذهب يا أوديب لقد قضى عليك ، أيها التعس، أن تقتل أباك وتتزوج من أمك ·

ولكن لم يخبر الكهنة أوديب بمن يكون أبوه الذى سيقتله ، ومن هى أمه التى سيقترن بها ·

وكما أراد لايوس من قبل أن يقاوم القضاء بمحاولته قتل ابنه · هاهو الابن اليوم يحاول أيضا مقاومة القضاء ·· فهو يبتعد

عن كورنثة التى يعتقد انها موطن أبيه وأمه ويتجه الى أى مكان آخر بعيد عن كورنثه ٠

واذا هو يسير ، غير مستهدف مكانا بعينه ، فى طريق شديد الضيق ، يفاجأ بعربه تعترضه ٠ ويطلب منه من فيها ، بلهجة آمرة ، أن ينتحى ناحية لتمر العربه ثم يمر هو بعد ذلك ٠ فيرفض أوديب ، فيعتركوا معه ٠ أو يعترك أوديب معهم ، واذا به ، دون أن يدرى أو يقصد ، يقتل الرجل صاحب العربة ٠ واذا بمن معه يتفرقون ٠ ويمضى أوديب فى طريقه الى « طيبــه » وهو لا يعلم انه منذ ابتعد عن كورنثه وهو يقترب من وطنه ، ولا يبتعد عنه كما أراد ٠ وهو لايعلم انه منذ لحظات قد نفذ أول ما قدر عليه ، وهو قتل أبيه ٠ وذلك الذى ترك كورنثه كلها من أجل ان يحول دونه ٠ ان أوديب لا يعلم ان القضاء نافذ فيه ، كما نفذ فى أبيه لا محال ٠

وعندما يقترب أوديب من « طيبة » يعلم بأن خطرا شديد البأس يهددها ٠ أن وحشا يقال له « أبى الهول » جاء الى طيبه واستقر عند أسوارها ، قابعا فوق صخرة كبيرة مرتفعة ليلقى سؤالا غريبا ملغزا على كل من يمر به ، فان هو حله أو أجاب عليه فقد صرع بحله أبا الهول ، وان لم يستطع صرعه أبو الهول ٠ وحتى مرور أوديب ، لم يستطع أحد أن يجيب عن السؤال أو يحل اللغز ٠

ونعود الى الوراء قليلا لنعرف أن سبب خروج لايوس من طيبة كان من أجل الذهاب لاستشارة الوحى فى « دلف » من أجل التخلص من أبى الهول ٠ ولما عرفت المدينة بمقتل ملكها ٠ أعلنت أن من يقتل أبا الهول يصبح ملكا ٠٠ وزوجا لجوكاست الملكة ٠

ويعلم أوديب بما أعلن عنه ، فيقرر أن يلقى أبا الهول بقلب

وعقل ثابتين • علّه يحظى بالملك والملكة فيستقر ويهدأ ويصل الى بر الأمان بعد عناء السفر • ويذهب الى أبى الهول فيلقى عليه لغزه الذى لايتغير :

ـ ماهو الحيوان الذى يسير ، فى الصباح على أربع ، وفى الظهيرة على اثنتين وفى المساء على ثلاث ؟ •

وبسرعة يجيبه أوديب :

ـ انه الانسان • وهو لا يكتفى بذلك بل يفسر له اجابته أكثر ويوضحها ويجليها ، فهو فى طفولته يزحف على أربع •• يديه ورجليه •• وحين يشب ينتصب فيسير على رجليه ، وعندما يكبر ويصل لمرحلة الشيخوخة أو قرب النهاية فهو يسير على ثلاث •• رجليه وعصاه •

وما أن ينتهى أوديب من كلامه حتى يجن أبو الهول ويلقى بنفسه من فوق الصخرة العالية معلنا نهايته ، وانتصار أوديب الانسان عليه •

ويصل النبأ للمدينة المنتظرة ، فتسرع بتنصيب أوديب ملكا عليها وزوجا لملكتها • ويقبل أوديب التاج واليد ، ويطمئن أوديب الى ما وصل اليه فقد أوشك على الاستقرار ، وابتعد عن طريق النبوءة والوحى • ولكنه ـ فى الحقيقة ـ لا يعلم انه قد نفذ من لحظات الشق الثانى من نبوءة أبوللو • وهو الخاص بالزواج من أمه بعد أن كان قد نفذ ـ وهو لا يدرى أيضا ـ شقها الأول حين قتل أباه فى ركبه فى مفترق الطرق الثلاث •

ويعيش أوديب هانئا تماما ، وينجب من أمه وزوجته جوكاست أربعة من الأبناء • ولدين : أتيوكل ، وبولونيس •• وبنتين : أنتيجون ، أسمين •

ويحكم أوديب شعب طيبة بالعدل والحق الى أن يأتى ذلك اليوم الذى تمتحن فيه المدينة بوباء الطاعون الذى يهلك كل شيء.

وأمام من يموتون كل يوم من الوباء .. وأمام صلوات الأهالى ودعواتهم ، واستصراخهم لملكهم ، أمام كل ذلك يرسل أوديب الى معبد « أبوللو » من يستشير الوحي ويلتمس العون والتدبير .

ويعود من ذهب ، حاملا معه الجواب من الاله الذى يقول انه لن تنقشع الغمة عن المدينة حتى تثأر للملك المقتول من قاتليه .

ويعلن أوديب فى صراحة .. وصرامة .. ووضـــوح بأنه باحث بنفسه عن ذلك القاتل . وعلى الشعب كله أن يساعده على ذلك . وهو يستنزل اللعنات على ذاك الآثم .. المجرم ، الذى عرض المدينة لهذا الحال .

وبأسرع مما يمكن تنكشف الحقيقة واضــحة ، أمام عينى أوديب .

ــ انه القاتل .. والآثم .. والمجـرم . قاتل الملك أباه ، والمتزوج من أمه ، وعندئذ فقط يتبين لأوديب وجوكاست أنه لا رد للقضاء الذى كان . وأمام بشاعة الحقيقة ، وشدة ايلامها تشنق جوكاست نفسها ، بينما يفقأ أوديب عينيه .

وهكذا تكون اللعنة المكتوبة على آل لايوس قد حلت .

تاصيل الأسطورة :

واذا بحثنا عن أصل الأسطورة ــ أقصد أسطورة أوديب ــ فستجد اشارة لها فى « الأوديســــة » لهوميروس فى نشـــيدها الحادى عشر .

فبعد أن يتكلم أوديسيوس مع شبح أمه ، وبعد ان يحاول الامساك بها ثلاث مرات ويعجز ، نجده يلتقى باشــباح أو أرواح أخرى لنساء كن بنات وزوجات رؤســـاء ، وآخذ أوديسيوس يكلمهن ، ومن بين أولئك النسوة يقابل روح جوكاست فيقول ٠

« وأبصرت أم أوديبـــوس ٠ أبيكاستى الفاتنة ، التى قامت بعمل وحشى فى جهالة من التفكير اذ قد تزوجت ابنهـــا ٠٠ بعد أن قتل أبـاه ، فتزوجهـــا ، ولكن الآلهة كشفت هذه الأمور للبشر فى الحال ٠ ولكن مع ذلك فان سيدا على الكادميين فى طيبة الجميلة ، يعانى المحن بسبب خطط الآلهة الضــارة ، اما هى ، فقد علقت أنشـــوطة فى قضـــيب عالى ، وقد استبد بها هبطت الى بيت هاديس ، الحـارس القوى ، لقـــد الحزن ، وشنقت نفســـها ، وخلفت وراءها محنا لا يسر لهـــا ٠ كل ذلك تقوم به ربات الانتقـــام من اجل أم » (١) ٠

ونحن نرى أن الأوديسة قد اهتمت بأســـطورة اوديب من جانب الأم أكثر من اهتمامها من جانب أوديب ٠ فهى تجرم الأم ، أو تجعلها هى المجرمة التى تزوجت من ابنها ٠ وليس الابن هو المجرم الذى تزوج من أمه ٠ كما تعودنا أن نقرأ ونسمع ٠

ثم أن الأوديسة قدمت لنا العقاب الذى نالته الام ، ولم تشر الى مصير أوديب أى اشارة ٠

---

(١) أمين سلامة ٠ أوديسة هوميروس ٠ دار الأدباء بالقاهرة ــ ص ٢٦٨ ٠

ورأى آخر فى تأصيل أسطورة أوديب أو ردها الى أصلها يذكره الدكتور عز الدين اسماعيل فى كتابه : « قضايا الانسان فى الأدب المسرحى المعاصر » حيث يقول :

« غير أن هناك من الدارسين من يذهب بنا مذهبا آخر فى تحقيق نشأة هذه الاسطورة ودخولها فى مجموع الأساطير الاغريقية ، وأعنى بذلك ما كتبه كينو عن ابو هيرودت فى شيوع هذه القصة التى ترجع فى الحقيقة الى أصل فارسى . فهيرودت يحكى لنا على نحو ممتع تلك المواقع الحربية التى كانت بين الاغريق والفرس فى القرن السادس قبل الميلاد ، وهو يقصد الى تاريخها . (وهذا التاريخ ينطوى على قصص رائعة . فهناك قصة تبلغ من الطول حدا لايمكن معه حكايتها هنا . هى قصة ميلاد قورش . وهى باختصار الحكاية العامة عن الطفل النابه الذى سيولد ، والذى سيصنع أشياء معينة ويحاول البعض منع الولادة أو قتل الطفل ، وتفشل المحاولة ، وتتحقق النبوءة على النحو مفزع . وأسطورة أوديب صورة اغريقية لهذه القصة . ومن الشائق مقارنة قصة قورش التى حكاها هيرودت بمسرحية أوديب الملك التى ألفها صديقه سوفوكليس ، فهى فى جوهرها نفس القصة ، ولكنها عند سوفوكليس تحمل مزيدا من الدلالة لا حد له) (١) .

★★★

(١) عز الدين اسماعيل ، قضايا الانسان فى الأدب المسرحى المعاصر . ص ٦١ دار الفكر العربى ــ القاهرة .

ونظرا لأن مسرحية « أوديب ملكا » لسوفوكليس هي من أهم المعالجات وأولها لأسطورة أوديب ، وأيضا لأنها العمل اليوناني الوحيد الذي يعالج أســطورة أوديب والذى تبقى على مر الزمن فتأثر به عدد كبير ممن عالجوا أو استوحوا من الأسطورة ، فلذلك سأنطلق في دراستي من مسرحية ســوفوكليس .. وأعبرها مباشرة متجها الى المسرح الفرنسي المعاصر ، ومنه الى مسرحنـا المصرى ..

الباب الأول

مسرحية « أوديب ملكا »
لسوفوكليس

مسرحية « أوديب ملكا »
لسوفوكليس

لكن ماذا فعل سوفوكليس بتلك المادة التى كانت متوفرة لديه ومعروفة مسبقا من قبل كل شعب اليونان ؟

لقد جعل سوفوكليس مسرحيته تتعرض للجزء الأخير من الأسطورة منذ ألمام الوباء بالمدينة وأمر الالهة بعقاب قاتل الملك .. سبب الرجس .. والطاعون . ثم استكشاف القاتل وما تبعه من عقاب نفسه . ولعل سوفوكليس بتحديد مسرحيته فى هذا الحيز قد جعلها تتميز بوحدتى الزمان والمكان اللتين كثيرا ما نصت عليهما نظريات الدراما واللتين تعتبران المسرحية التى تتمتع بهما الى جانب وحدة أساسية هى وحدة الحدث ، تعتبر مسرحيته جيدة . فالمسرحية تدور أحداثها فى مساحة زمنية محدودة جدا لاتزيد على دورة شمسية واحدة . كما أن مكان المسرحية فى مدينة « ثيبة » أو طيبه أمام قصر الملك . حيث لا نجد هذا المكان يتغير أو يتبدل .

وأما عن وحدة الحدث ، فالمسرحية كلها حدث واحد رئيسى اصطلح على تسميته « حدث أو حبكة اكتشاف Recognition Plot

حيث نجد أوديب من بداية المسرحيــة ظل يبحث عن الشخص المجهول الذى جلب على أهل «ثيبة» أو طيبة لعنة الآلهة ثم بعده التعرف أو الاكتشاف Anagnopisis or Discovery يتوصـــل أوديب الى معرفة ذلك المجهول ·

وهو حدث مركب ، كما قال أرسـطو ، وليس بسيطا ، لحدوث التعرف Recognition ثم التحول والانقلاب «Reversal» أقصد تعرف أوديب على القاتل مما أدى به الى اكتشاف كونه قاتل أبيه وزوج أمـه وأخ أولاده ــ لأمه وتأكده من تحقق النبوءة التى حسب لها ألف حساب · ثم التحول فى شخصيته من السـعادة التى كان عليها منذ بداية المسرحية وحتى لحظة الاكتشـــاف الى التعاسة التى بدأت باكتشافه مقتل زوجتــه وأمه جوكاست ، ثم فقأه لعينيه بمشبكها الذهبى · وقد جعل سوفوكليس التحول يعقب الاستكشاف مباشرة ليقوى بذلك من حبكة المسرحية ويؤدى الى الغـرض منهـــا · ذلك الغـــرض المأســـوى الذى قال عنه أرسطو أنه التطهير أو ال «Catharsis» ذلك الذى وصل اليه سوفوكليس عن طريق اثارة عاطفتى : الشفقة والخوف ، الشفقة من جانب المتفرج على المصـير الذى لاقاه بطل المسرحيـــة أوديب وبطلتها جوكاست ·· والخوف من أن يفعل المتفرج مثلما فعل بطلا المسرحية فيصاب أو يصل لنفس المصـــير المأسوى ، المؤسف الذى وصل اليه بطلا المسرحية ·

وأستطيع أن أحدد بداية الحدث ببداية المسرحيــة وحتى لحظـة التـأزم أو الأزمة أو الذروة «Climax» · تلك التى تبـدأ خطوة خطوة ·· تبـــدأ بمفاجأة لأوديب حيث نرى الرســـول يفاجئه قائلا :

الرسول : لأن يوليبوس لم تكن بينك وبينه صـــلة النسب ·· فيرد أوديب :

أوديب : ماذا تقول ؟ لم يكن بوليبوس أبى .

الرسول : لم يكن أباك كما انى لست أباك .. لأنه لم يلدك كما أنى لم الدك .. لقد تلقاك هدية منى .. ذلك لأنه كان عقيما لا ولد له (١) .

الى ان يصل الحدث الى ذروته « Climax » فيكتشف أوديب الحقيقة قائلا :

أوديب : واحسرتاه .. واحسرتاه .. لقد استبان كل شيء . أيها الضوء ، أيها الضوء لعلى أراك الآن للمرة الأخيرة . لقد أصبح الناس جميعا يعلمون ، لقد كان محظورا على أن أولد لمن ولدت له وأن أحيا مع من أحيا معه . وقد قتلت من لم يكن لى أن أقتله (٢) .

وينتهى بذلك الحدث الصاعد « Rising Action » ينتهى عند الذروة ليبدأ بذلك الحدث المنهبط « Falling Action » ذلك الذى يلى ذروة التأزم والذى يشمل نصف المسرحية الثانى . أو الجزء الأخير منها .

وبعد الحديث عن وحدتى الزمان والمكان . ثم وحدة الحدث انتقل الى الشخصيات ، وأبدأ الحديث عن الشخصيات بالحديث عن الجوقة أو الكورس «Chorus» تلك التى استخدمت فى المسرح الكلاسيكى اليونانى كشخصية .. وان كانت منفصلة عن شخصيات المسرحية الرئيسية فهى هنا شخصية أهل «ثيبة» ممثلة فى خمس عشرة من اشراف المدينة . يعبر على لسانها المؤلف

---

(١) و (٢) سوفوكليس ــ من الأدب التمثيلى اليونانى ــ ترجمة د. طه حسين القاهرة ــ دار المعارف بمصر .

عن ما أصاب المدينة ، وان كان يقسمها أحيـــانا الى فريقين كل يتحدث عن شيء • ثم يضم صوتيها الى بعض ليصبحا بذلك صوتا واحدا هو صوت المدينة أمام أوديبوس •

فنحن نراهم يقولون :

« انى لابدأ بدعائك يا ابنة زوس ، انى لأســـألك أى أثينا الخالدة كما أســـأل اختك أرتميس ، هذه التى تجلس على عرش مجيد مستدير فى الميـدان الصغير بالمدينة ، واسأل أبوللون• أسألكم جميعا أن تقبلوا على وان تعينونى ان كنتم قد رددتم على المدينـــة نـــار الشقاء •

بينما القسم الثانى من الجوقة يردد فى حدة :

واحرتاه انى لا أحتمل آلاما لاتحصى لقد سرت العدوى فى الشعب كله ، وعجز العقل عن ان يخترع سلاحا يذود به عن انسان ، لقد جمدت ثمرات الأرض فهى لاتنمو ، وهمدت الأمهات فهن لا ينهضن من مراقدهن قد ألحت عليهن آلام الوضع • وجعل الموت يرســـل ضحاياه متتابعـــة فى سرعة النـــار التى لا ترد الى آلهة الجحيم » (١) •

والجوقة بذلك تقوم أيضا بالتعليق على الأحداث • كما تقوم بالغناء والانشاد فى الفقرات الغنائية التى كانت تتخلل المسرحية لتتيح للممثلين محدودى العدد فرصة تغيير ملابسهم لاداء أدوار

---

(١) المرجع السابق

أخــرى • وتســـمى تلك الفقرات التى تغنى فيهـــا الجـوقة « استاسيمونات » « Stasimons- »

أستطيع أن أقول ان التراجيديا اليونانيـــة هى تراجيديا البطل الذى بدونه لا تصبح هناك تراجيديا على الاطلاق • والبطل فى أوديب هو أوديب نفسه •• فبدون شخصية أوديب ما كانت هناك دراما ، لأن بدونه لا يكون هناك صراع أو «Conflict»

وشخصية أوديب هى بعينها شخصـــية البطل التراجيـدى الأرسطى أو شخصية البطل التراجيدى الذى حدد أرســطو معالمه فى كتابه « فن الشعر » فقال :

« وهو ذلك الذى لا يتميز بالنبـالة ولا بالعـدالة ، ولكنه لا ينتقل الى حال الشـــقاء لخبثه ولا لشره بل لذلة أو ضعف ما ، ويكون من أولئك الذين يعيشون فى عزة ونعمى ، مثل أوديبوس» •

وعن التغير فى الشخصية يقول أرسطو :

« وان التغير لا من شقاء الى سعادة بل — على العكس — من ســـعادة الى شـــقاء ، ولا بسبب الخبث والشر بـل بسبب ذلة عظيمة » •

ولو طبقنـا مواصفات أرســـطو للبطل على أوديب نجدها تنطبق تمام الانطباق عليه • فأوديب لا يتميز بالنبالة ولا بالعدالة فحسب أو على طول المسرحية ، ولكنــه لعيب فيه أو ذلة لعلهـــا كـبرياؤه الأكثر من الـلازم ، والتى تتســـبب فى مقتـل أبيـه — دون علمه — ذلك العيب أو تلك الزلة أو السقطة التى تســمى الهمارتيا «Tragic Flaw' or «Hamartia» هى التى تسببت فى تحوله من السعادة الى الشقاء بعد اكتشافه لحقيقة كونه قاتل أبيه

وزوج أمه مباشرة . وهذه الهمارتيا التى تسببت فى كل ذلك لم يكن سببها خبث أو شر فى طبيعة أوديب . ولكن سببها طبيعة تكوين شخصية أوديب وتوارث هذه الشخصية للعنة الآلهة . تلك اللعنة اليونانية الشهيرة التى صبتها الآلهة على لايوس والد أوديب من قبل بسبب فعلته النكراء مع ملك طنطاله ، وحيث أطلعته النبوءة على ما ينتظره من أن هناك ابنا سيولد له كتب عليه ان يقتل بيده . وان يتزوج هذا الابن من زوجته (أقصد زوجة لايوس) ولكن لايوس قد حاول التخلص من نبوءة الآلهة التى لا ينبغى لانسان ان يتخلص منها ، حيث طرح ابنه على قمة جبل كثيرون . نتيجة لذلك حدث ما عرف بتوارث اللعنة . أى اللعنة المتوارثة لهذه الأسرة جيلا بعد جيل .

أسطورة أوديب فى المسرح الفرنسى المعاصر

الباب الثانى

مسرحية أوديب «Oedipe» (١٩٣١

لأندريه جيد « André Gide »

مسرحية « أوديب »

لاندريه جيد

كلمة عن المؤلف أندريه جيد :

ولد أندريه جيد فى باريس عام ١٨٦٩ وتوفى بها أيضا فى عام ١٩٥١ ·

ويرتبط اسم أندريه جيد أو يقترن باسمين كبيرين هما : مارسل بروست «Marcel Proust» الذى ولد عام ١٨٧١ ، وبول ڤاليرى «Paul Valéery» الذى ولد أيضا فى عام ١٨٧١ الذين سيطروا ثلاثتهم على حركة الأدب الفرنسى فيما بعد الحرب العالمية الأولى ·

وقد نشأ « جيد » نشأة دينية وأخلاقيـــة قيل عنها انهـا متزمتة حتى انها أثرت على فنه وحيـــاته بوجه عام · فكان دائم البحث فى العادات المتوارثة والتقاليد الأخلاقيـــة أو الاجتماعيـة أو السياسية ·

« والذى لا شك فيه ، انه ما من أديب فرنسى فى هذا القرن كان له من التأثير على الجيل الذى تلاه من الكتاب مثل ما كان « لاندريه جيد » · وقد كان رائده دائما أن يســبق أفكار عصره ويبشر بأفكار العصر المقبل ، لا أن يردد الأفكار السائدة ويتملق

عواطف الجماهير .. ولعل هذا يفسر السر في ان كتبه لم تكن تلقى عند صدورها النجاح التجارى المرجو لمثلها .

وفي سنة ١٩٤٧ منح جيد ، جائزة نوبل العالمية في الأدب .. وسجلت اللجنة التي منحته الجائزة في « حيثيات » قرارها انه استحقها من أجل مؤلفاته الكثيرة التي صاغها في قالب فني والتي استعرض فيها مشكلات البشر وأحوالهم بشجاعة وشغف باظهار الحقيقة وبادراك سيكلوجي عميق » (١) .

واهم أعمال اندريه جيد :

- يوميات اندريه والتر «Les Cahiers et les Pensées d'André Walter ». عام (١٨٩١) .
- الأغذية الأرضية (١٨٩٧) .
- ســـول « Saul » (؟)
- اللا أخلاق « L'immoraliste » علم (؟)
- الباب الضيق « La Porte etroite » عام (١٩٠٩)
- كهوف الفاتيكان « Les Caves du Vatican » عام (١٩١٤)
- السيمفونية الريفية « La Syamphonie Pistorale » عام (١٩٢٠)
- مزيفو النقود « Les Paux Monnayeurs » عام (١٩٢٦)
- ثم « أوديب » « Oedipe » (١٩٣١)

---

(١) حلمى مراد . أوديب . مقدمة مسرحية اندريه جيد ـ ت : طه حسين مطبوعات كتابي ـ القاهرة .

ملخص المسرحية

الفصل الأول :

تنقسم الجوقة الى قسمين أحدهما يتجه الى الجمهور ويخاطبه مباشرة متجنبا أوديب ، وهو حديث أشبه بما نطلق عليه فى لغة المسرح « التجنيبية » أو ال « a Side » حيث تقول الجوقة للجمهور انها من المفروض أن تمثل أكبر عدد ممكن من الناس أى من شعب طيبة ، وهى ــ أى الجوقة ــ تعلن دهشتها وحزنها أمام أوديب التى ترى أنه من المستحسن ان يستشير « ترزياس » فهو بذلك سيسترضى الآلهة بانحيازه الى أحد رجال الدين •

بينما نجد جوقة اليمين تتوجه لاوديب ، مباشرة ، فتقول له انك سعيد أما نحن فلسنا سعداء • وكم أردنا ان نخفى ذلك عليك لكن لم نستطع ذلك ، ان الطاعون يدفع المدينة نحو الهلاك رغم ان أسرتك قد عوفيت منه الى الآن ، ولكن عليك ألا تنفصل عنا وتتركنا هكذا فى معاناة وانت مليكنا •

ثم تعلن جوقة الشمال أن أوديب قد أرسل كريون صهره الى معبد الآلهة وما هى الا لحظات حتى يعلن أوديب عن رؤية كريون قادما من بعيد • وعندما يحضر كريون يطلب منه أوديب أن يتحدث اليه على انفراد (كما فعل كريون ــ سوفوكل مع

أوديب منذ قرون طويلة) الا ان كريون ــ أندريه جيــد يقابل برفض أوديب كما قابله كريون ــ سوفوكل ، حيث يطلب أوديب منه ان يعلن كل شيء أمام الناس · بــل انه يطلب من كريون أن يدعو جوكاست زوجته وأبناءها الأربعة لحضور ذلك الموقف ·

ومن خلال حديث أوديب عن أولاده نعرف أنهم ليسوا أطفالا صغارا ، بل فيهم جراءة وأقدام · ولذلك يجب أن يشــاركوا فى الانشغال ببعض الهم شأنهم شأن الجميع ·

وأمام الجميع ، يعلن كريون أن الاله لن يحول غضبه عن « ثيبة » أو « طيبة » حتى يثأر للايوس القتيل ·

ومن هنا تبدأ التساؤلات في الطفو ، ويتجه الحدث نحــو التعقد أو التعقيد ، ان أوديب يعلم ، وللمرة الأولى ، ان قاتــل لايوس لم يعاقب بعد ·

ويسأل جوكاست عن سبب جهله ذلك الى تلك اللحظة · فتخبره أنه ذاته هو السبب فكلما حدثته عن ذلك قاطعها قائلا :

« كلا ، لاتحدثينى عما مضى ، فلست أريد أن أعلم من أمره شيئا ، لقد بدأنا عصرا ذهبيا · كل شيء يتجدد ·· » (١)

ولذلك يثور أوديب ويصب لعناته على ذلك الذى قتــل الملك لايوس · ثم يسأل جوكاست عما مضى من وقت على مقتــل لايوس · فتجيبه جوكاست بانه (تقصد أوديب) قد خلف لايوس بعد ستة أشهر من مقتله ·· وقد مضى على ذلك عشرون عاما فيدخل القاعة ترزياس مع انتيجون واسمين · فيعبر أوديب عن ضيقه به ويقول انه يقحم نفسه دائما فى أمور الناس · « من طلب اليــه الحضور » ؟ · بينما تنهاه جوكاست عن البوح بذلك أمام أولاده

الذين يتلقون العلم على يد ترزياس .. ولكن ترزياس رغم ظلمة عينيه إلا أنه يتمتع بنور مصدره بصيرته المستنيرة . فهو يمتنع عن الكلام عندما تطلب منه الملكة أن يتكلم . ثم يقول :

« لا أريد أن أسوء الملك » (١)

الا ان أوديب يحدد ، منذ البداية ، اللون الذى سيعامل به ترزياس . ففى قسوة يقول له :

« لا يسوءنى ما يقال بمقدار ما يسوءنى ما تضمره النفوس ولا تقوله الألسنة » (٢) .

وعندما يبدد ترزياس الصمت فهو يتكلم عن شقاء الشعب ويقول :

« ان الاله ينشىء صلة خفية بين السعادة التى تتاح لقليل من الناس ، والشقاء الذى يفرض على أكثرهم » (٣) .

بل ان ترزياس يتهم أوديب بعدم اكتراثه بالاله ، وعدم اضطرابه أمامه خوفا . رغم ان الاله يشتد رضاه عن الانسان الذى يخاف منه ويضطرب أمامه رغم عظم شجاعته امام الناس .

ويجيبه أوديب بأنه لم يتعود الاضطراب أو الخوف ، ولذلك فقد هزم أبا الهول .

ثم تشترك الجوقتان فى تأنيب أوديب وتحذيره من خطر ترزياس .

ويتحدث أوديب وترزياس .. فيقول ترزياس ان على

(١) ، (٢) ، (٣) ، اندريه جيد . أوديب . ت : طه حسين . مطبوعات كتابى ـ القاهرة .

الجميع ان يندموا على ما قدمت (اقترفت) أيديهم ، فلا يوجد انسان وقد برىء من الخطايا • ويشترك « بولينيس » ـ الابن ـ في الحوار ، فيروى ما رآه غير بعيد عن القصر من جماعة من المصابين بالطاعون وقد دنسهم برازهم وقيؤهم وهم يعينون بعضهم بعضا على الموت •• (ما أقسى الصورة !) •

ومن شدة المنظر الذى يصفه « بولينيس » نجد«اسمين» وقد أغشى عليها • فيطلب أوديب من جوكاست ان تخرج الأولاد • ليخلو أوديب للتفكير ، ويخرجون جميعا وترزياس ، ليتبقى كريون مع أوديب ، حيث يلوم كريون أوديب على القسم الذى أقسمه منذ قليل والذى كاد ينساه الآن • ذلك الذى توعد فيه وعيدا لقاتل الملك لايوس •

ومن كريون يعلم أوديب بحرص جوكاست المستمر على سعادته ، فيعبر أوديب عن حبه لها الذى هو حب البنوة والزوجية معا ! ويتساءل أوديب : « آكانت جوكاست تحب زوجها الأول »؟•

ويخبره كريون بانها كانت تحبه أقل مما تحبه (يقصد أوديب) بلا شك وعندما يسأل أوديب عما اذا كانا قد رزقا الولد• فيخبره كريون أنهما لم يكونا يريدان الولد ويروى له ما كان من الوحى • فيزداد به تخوف أوديب • فيخبره كريون انه يجب عليه ـ كملك ـ الا يهتم بهذا الوحى الذى يسبغه الشعب • فخوف الشعب من الوحى ، يجب ان تقابله استفادة من جانب الحاكم حيث يستخدمه الأخير لتقوية الملك والحكم والسلطان • وذلك بتأويله كيفما يشاء • ويؤيد كريون رأيه بما يظنه قد حدث بوحى المعبد للايوس نفسه •• لقد آنبأ الوحى ان لايوس سيموت بيد ابنه ، ولكن هلك الابن ، وقتل الأب ولكن بيد غريبة •

ثم يطلب كريون من أوديب الا يهتم بالقاتل كثيرا فهو الذى يرجع اليه الفضل فى كون أوديب ملكا الآن ٠ فعليه ان يحسن اليه لا ان يعاقبه ٠

وبينما أخذ أوديب يعبر عن تخوفه من ترزياس ، نجده مقبلا من بعيد ، وعندما يقترب ترزياس من الملك ينقل اليه رغبة الملكة فى ان تتحدث اليه بالداخل ٠ فيبتعد أوديب ، تاركا ترزياس يتحدث لكريون عن رغبته فى مساعدة كريون على أحداث صدع فى سعادة أوديب المطمئنة الآثمة ٠ ليصل الاله الى قلبه عبر هذا الصدع ٠ ثم ينقل ترزياس لكريون احساسه بافلات ابنى أوديب: اتيوكل ، وبولينيس منه ويقول له :

« انهما يريان أن من الممكن أن يتحرروا من هذا السلطان الذى ينبغى أن يذعن له كل انسان » (١) ٠

ثم يقول ترزياس :

« ان شعب طيبة يرى ان ما يلم به من الكوارث انما هو عقاب على ما يظهر ملكه من الالحاد » (٢) ٠

تدخل جوكاست لتعلن ان أوديب حزين جدا بعد علمه برغبة ابنته انتيجون فى ان تخلص للدين لتصير كاهنة ٠ فنجد كريون يؤيد موقف أوديب ٠ بينما يتخذ ترزياس موقف المعارض لهما ٠

وتعبر جوكاست عن رغبتها فى أن ترد أوديب الى طاعة الاله بمساعدة ترزياس الذى تظن ان من طريقه يأتيهما العلم بارادة الاله القدير ٠

وينتهى الفصل الأول من المسرحية

---

(١) ، (٢) اندريه جيد ٠ أوديب ٠ ت : طه حسين ٠ مطبوعات كتابى ٠

الفصل الثاني :

تدور أحداث الفصل الثاني في نفس مرزح أحداث الفصل الأول بعد انقضاء ليلة · فنرى أوديب وكريون يتحادثان في موضوع كأنما بدآه قبل ان ينفرج الستار عليهما · يعبر كريون ، في بداية الفصل ، عن رضاه عن هذا التباين البين بينه وبين أوديب · فهو يقيده الماضي ، ومن أجل ذلك فهو يحترم التقاليد ·· والعادات ·· والقوانين (وان كنا نلاحظ ان هذا الكلام يخالف رأيه كأحد أفراد الأسرة الحاكمة لطيبة في احترام القوانين في الفصل الأول · حيث كان يطلب من أوديب : أن يستفيد كحاكم من موضوع الوحي والقاتل والوباء) · بينما أوديب له الابتكار ·· والتجديد ، وهو يتمتع بعقل مجدد متجدد ·· مغامر ·· جريء ·· وان كان كريون يحاول ان يحول بين أوديب وبين اندفاعه ومغامراته الجريئة التي تهدد نظام الجماعة ·

يبدو كريون ، من الوهلة الأولى ، منفذا لما طلبه منه ترزياس في الفصل الأول من المسرحية · ان كريون يشعر بكل فرد في الأسرة ، أو هكذا يخبر أوديب ، فهو قلق على صحة أسمين ·· وعلى صحة جوكاست أيضا ، التي تبدو غير متمتعة بكامل صحتها منذ أيام لقلقها على الشعب الشقي · حتى أتيوكل وبولينيس ، فهو يخبر أوديب أنه مطلع على ما يظهرانه من عدم استماع لاستاذهما الكيس ترزياس ، ويقول له ان ذلك قد ورثاه عنه ·

وبسرعة ، يتحول الحديث الى طفولة أوديب نفسه ·· حيث يتساءل كريون عما دفع أوديب الى مغادرة قصر «بوليب» في كرنث·

ويخبره أوديب انه ترك القصر لأنه كره التدليل ‥ وكان معتقدا انه ابن بوليب وميروب · وترك القصر بعد ان أخبره كاهن بانه قد كتب عليه ان يقتل اباه · ولكنه قبل ان يغادر القصر قرر ان يصارح بوليب بما قد سمع من الكاهن · فيخبره الملك انه ليس ابنه ، وانما تبناه ‥ ولم يستطع بوليب ان يبين له عن حقيقة أبيه شيئا ، فقط حدثه عن أن راعيا له قد وجده فى الجبل وقد علق من رجليه فى شجرة بعيدة ·

ويتساءل كريون ‥ لماذا غادر أوديب قصر بوليب وقد تأكد من انه ليس ابنه وبالتالى فلن تصدق فيه النبوءة ؟

ويجيب أوديب بان طبيعته ، التى فطر عليها ، تكره الاستئثار بما ليس له ، ولما كان يوما سيرتقى عرش كورنثة بعد بوليب ، وهو يظن ان ليس له الحق فى ذلك ، فقد دفعه ذلك الى الاسراع بترك بوليب وقصره ·

ويلمح أوديب بولينيس وانتيجون قادمين فيختفى هو وكريون ليتسمعا سويا ما سيقال · وهنا نجد اندريه جيد يفسح المجال أمام الأبناء ويدور حديثهما الذى يعبر عن فلسفة كل منهما · فبولينيس لا يؤمن بالعبادة ولا بالدين · فالعبادة فى نظره تقف فى طريق التفكير الحر · بينما تؤمن انتيجون بالدين والاله الذى تصدر عنه كل فضيلة فتؤمن به انتيجون كل الايمان ·

وفجأة ، وبدون سابق مقدمات ، نجد بولينيس ـ الأخ يسأل أخته انتيجون عما اذا كان من المحرم أن يتزوج المرء من اخته ·

فتنهاه انتيجون عن ذلك ، بعد أن تفهم انه يشتهيها كأنثى · ويقطع ذلك تعليق كريون على الحدث حيث يقول لأوديب أنه يرفض زواج المحارم ، فينهاه أوديب عن الكلام ليستكمل استراق السمع ·

ويستمع أوديب هـذه المرة لاسـمين وأتيوكل ، حيث تعبر أسمين عن اختلافهـا عن اختهـا انتيجون تمام الاختلاف ، ولكن اتيوكل ويقول أنه على العكس ، يتشابه مع بولينيس تمام التشابه•

ويضحكان • ثم يخـرج اتيوكل ، وتدخـل انتيجون لتقول لأسمين كيف تضحكين والشعب فى حداد ؟

ويكون رد أسـمين ان انتيجون لا تضـحك حتى فى أكثر الأوقات سعادة • ومن ثم فهى تحرم عليها الضحك •

وتخبرها انتيجون ان السعادة في الحياة يجب ألا تقارن بما فيها من تعاسة وشقاء • وتضيف انتيجون ان السـعادة لبعض الناس تقلقها ، وحتى سعادة أوديب هى مبعث قلق لديها • فهو فى نظرها ملحـد •

وبعد ان تخرجا ، يعلق كريون على الأحداث ، معبرا عن فرحته بهؤلاء الفتية الذين يحسنون الحديث • وبانتيجون التى تتحدث حديثا عميقا جدا ، عجز هو عن ان يقوله لأوديب •

ويعود أوديب وكريون ليكملا الاسـتماع الى الابنين اللذين يتضح من حوارهما انهما غير مؤمنين بالكتب التى يقول ترزياس عن أصحابها انهم « أصحاب التفكير القويم » بينما يطلق عليهما لفظة « أصحاب التفكير المعوج » لأنهما يخالفان المألوف • فاتيوكل يبحث الآن فى الكتب عن نص ـ ولو غـير صريح ـ ليبيح له ان يتخذ أسمين زوجة له أو عشيقة •

ويعلق كريون على ذلك بتعبير « وقح » •

بينما يتساءل بولينيس : « أسمين • أختك ؟ »

فيجيبه أتيوكل مؤكدا : « اختنا » •

فيطلب منه بولينيس ان يطلعه على هذا النص ، ان وجده ، فيبدو انه يفكر فى نفس ما يفكر فيه • ومن هنا يبدأ الخلاف والشقاق بينهما • ويظهر أوديب • ويتقدم نحوهما ، ويثنى عليهما وان كان يطلب منهما الابتعاد عن اختيهما • وعدم التفكير فيهما بمثل هذا الشكل الشاذ •

ثم يتحدث معهما عن ترزياس •• تصرفاته •• وأخلاقه ، ويدخل ترزياس ليلوم أوديب على ما فعل مع أبنائه •• ويضيف انه بذلك لن يعلمهما الا الكبرياء •

وينصرف الأبناء ، على رغبة أوديب ، الذى أخذ يتحدث مع ترزياس عن الايمان والالحاد ، ثم يتفرع الحديث ليصل الى حيث الجريمة التى يقول أوديب انها دنست يده وجعلته لايقرب المعابد حين كانت فى نفسه بقية من ايمان ويتحدث أوديب عن جريمة قتل لايوس الذى ظنه رجلا عاديا مجهولا • ويتحدث بعد ذلك عن قتله لأبى الهول•

ويفتح ترزياس ، بعد ذلك ، عينى أوديب على شقائه •

« لقد استرد الاله منه حقه فى أن يكون سعيدا » (١) •

ويخرج ترزياس بعد ان يكون قد ورط أوديب فى الحقيقة التى لا يعرفها رغم مرور سنوات طويلة •

« لقد مضى وقت الطمأنينة ، وأفاق أوديب من سعادته » (٢)

ليسدل الستار على :

الفصل الثانى من مسرحيتنا

(١،٢) اندريه جيد • أوديب • د• طه حسين مطبوعات كتابى : القاهرة

الفصل الثالث :

ينفرج الستار عن هذا الفصل لنجد أوديب يعبر عن رغبته الملحة فى معرفـة كل ما تعلمه جوكاست عن حادث مقتل الملك ٠ وهو يؤكد ذلك بحركة امســاكه بمعطف جوكاست الملكى ترجمة لشدة خوفه من تهربها أو هربها منه ٠

وهو يسأل عن ذلك فى حين انها تحـاول مراوغته ٠ يسأل أوديب جوكاست عما اذا كانت تعرف بموت لايوس وقت ان دخل أوديب طيبة بعد ان قتل أبا الهول ؟ ٠

فتجيب جوكاست عن سؤاله بتساؤل يدل على سذاجة سؤال أوديب فتقول :

« كيف أعد بالعرش قاهر أبى الهول دون أن أعلم انى أيم»(١)

فتسأله جوكاست لماذا يريد ان يتهم نفســـه ٠٠ فيصفها بالتعجل ٠ وترد عليه بأنها لا تتذكر بالتحديد أى شىء عما يسأل عنه ٠ وعليه ان يتجه بأسئلته الى كريون ، الأعلم منها بكل ذلك ٠ فيعيد عليها أوديب ماسبق وقاله كريون له من انه يجب أن يكافأ بدلا من عقابه ٠ فهو سبب ارتقاء أوديب العرش ٠

ويعود أوديب ليسأل جوكاست : « وهل كنت تعلمين بموت الملك ؟ » ٠

---

(١) المسرحية ص ١٨٨ ٠

فتغير جوكاست من مسار أو اتجاه حديثه بعض الشيء بقولها :

« لست أعلم الا شيئا واحدا وهو انى لم أكد أراك حتى اردتك » (١) .

ولا يهتم أوديب بذلك ، بل يعاود تساؤلاته ، فتنهاه جوكاست عن ذلك الذى ينبش فيه وقد تناساه المؤرخون ولم يلتفتوا اليه .

فيفاجئها أوديب بأنه قاتل لايوس . وتطلب منه جوكاست ان يخفض صوته . ويبدأ أوديب فى قص الحادثة عليها .

وتطلب منه جوكاست ان يعرفها لماذا يرغب فى معرفة الحقيقة التى ستجلب عليه الشقاء ، وتسأله : « هل لا تشفق على سعادتك؟»

فيجيبها : « بأنه شديد الحاجة الى معرفة الحقيقة مهما كلفته » (٢) .

وانه لا يريد سعادة مبنية على جهل أو تجاهل أو خطأ .

وينادى أوديب على ترزياس الذى يظهر على خشبة المسرح ملبيا النداء فى صحبة كريون فيعترف له أوديب أنه ابن الملك الذى قتله .. ابن لايوس الذبيح .

فيذعر كريون من أوديب الذى هو زوج أخته وابنها . ويحزن من أجل أوديب الذى طالما أحبه . ويعجز عن تخيل ذلك الوضع الجديد الغريب والغير مألوف ويعبر أوديب عن ضيقه بالمكافأة البغيضة التى منحها بعد حله للغز . واللغز الجديد الذى يعجز

(١) المسرحية ص ١٨٩ .
(٢) المسرحية ص ١٨٩ .

عن حله الساعة . فمنذ لحظات كان يهنيء نفسه لجهله حقيقة أبويه رغم انه كان متزوجا من أمه بعد ان قتل أباه .

لقد كان أوديب يحب جوكاست — وان كان يجهل انها أمه — حب الزوج الى جانب حب الابن .

ويعلن أوديب ما قرره من مصير مظلم لنفسه ، فتأخذ الشفقة ترزياس ليقول له :

« صحيح انك ابن الخطأ والخطيئة . لكنك يجب أن تولد اليوم من جديد ، بعد ان جدد الألم شخصك . وعليك ان تقبل من الآن على الاله الذى انصرفت عنه طويلا » (١)

ويرفض أوديب ما قاله ترزياس ، أو هو لا يقبله ، ويقول انه كان مجبرا . فيرد ترزياس ان هذا الجبر كان من قبل الاله الذى بيده وحده ان يرفع عنه الضر الآن . ويطلب ترزياس من أوديب ان يعلم الشعب بما حدث ، فيوافقه أوديب على ان يقوم ترزياس بهذه المهمة فيخبر الشعب ، ويخبر أبناءه بهذه الجريمة التى لا يعرف كيف يسميها .

ويخرج ترزياس . بينما تتساءل جوكاست لماذا يذيع أوديب ماينبغى أن يظل بينهما مكتوما . وتخبره بان ذلك مازال ممكنا . وأنها قد نسيت الجريمة .. تلك التى اتاحت — فى نظرها — سعادتها ، ثم تضيف أن لا شيء قد تغير بعد تلك الجريمة .

ويثور عليها أوديب ، ويقول لها أن كل شيء قد تغير . فتحاول جوكاست ان تلقى بتبعة ما حدث على أكتاف الاله . فيقول

---

(١) المسرحية ص ١٩٠ .

لها أوديب انه كان فى البداية ، يعتقد أن الها يهديه ، وكان يستمد منه الثقة بسعادته ، ولما أهمل أوديب اعتقاده ذلك أصبح يسير بغير هدى • فكان ينظر الى نفسه نظرة خاصة جعلته يوما يستغنى عن لفظة « اله » ويثور بعد ذلك على كل ما يرتبط بالاله من وحى • ويسخر منه ويسخط عليه • ثم ينصرف أوديب • الا أن كريون يطلب من جوكاست الا تدعه أو تتركه بمفرده •

وقبل ان تنصرف جوكاست • تناجى نفسـها وحدها وهى تروى ما فعلته مع أوديب • انها ترثيه فى البداية ، ثم تقول بانها بذلت قصارى جهدها حتى تمنعه من تمزيق قنـاع سعادتهما ، الا انه مزق القناع ليتركها عارية ، لا تقوى على مواجهته الآن • كما لا تقوى على مواجهة الأبناء والشعب • لقد اصبحت كريهة فى نظر نفسها •• (يالتعاستها !) •

ثم تخرج جوكاسـت بعـد ان تدخـل الجوقة المقسـومة الى قسـمين ، فيتجاوران معلقين على الأحداث التى وقعت ، ومنبئين بتلك التى فى طريقها للوقوع • ثم ينـدبان معا (قسمى الجوقة معا) حظ ملكهم أوديب التعس •

ويدخل تريزياس بأبناء أوديب الذين أخذوا يتحاورون حول العرش والملك ، وبينما هم كذلك اذا بهم يستمعون ، فجأة الى صياح قوى فتتساءل الجوقة عن هذا الصـياح • بينما تعبر « أسـمين » عن خوفهـا فتأخذها « انتيجون » الى جوارها •• ويدخل عليهم كريون خارجا من القصر معلنا عما حدث •

لقد شنقت جوكاست نفسها • ولم يستطع كريون اسعافها ، ثم انتزع أوديب مشابكها من معطفها الملكى • ثم دفع بها بسرعة فى عينيه ليصدر صياحا عنيفا بعد ما سال منه من دم وصديد أصاب كريون نفسه وهو البعيد •

لقد صاح أوديب صياح الروع .. ثم صياح الألم .

وبينما هم كذلك يتساءلون عما عساه يفعل الآن . نجده يقدم علينا متردد الخطى فتسرع « انتيجون » اليه فيتعرف عليها دون أن يراها .. ويطلب منها محادثة ترزياس . ويسمعه ترزياس فينصت اليه ، فاذا به يصيح فيه ـ فقد كان تريزياس يحسده على نور عينيه ـ ولكنهما الآن متعادلين ، الا آن تريزياس يرد عليه بأنه لم يدفعه الندم الى فقء عينيه ، بل دفعه الكبرياء ، وشتان ما بين الاثنين .

ويدخل كريون ، ليعبر عن سعادته المشوبة بالحزن ، لقدرة أوديب على الاحتمـال وان كان مبعثه الحقيقى هو ان يعلم أوديب عن انه لن يستطيع البقاء فى طيبـه بعـدما كان ، وبعد ان علم الشعب بالجريمة .

وبينما الجوقة تطلب انفاذ أمر الاله فى أوديب نجد كريون ينقل لأوديب وتريزياس ولنا مطامع كل من : أتيوكل ، وبولينيس فى العرش منذ الآن . وقبل مغادرة أوديب لطيبة . ونظرا لكونهما صغيرا السن وحديثا عهد بشئون الملك فسيتولى كريون الوصاية على العرش من جديد .

ويعبر ترزياس عن دهشته من أوديب الذى لم يتأثر لما قاله كريون عن تنازع ابنيه .

فيقول أوديب انه سيترك لهما ـ عن رضا ـ كل شىء توصل اليه بصعوبة ليصلانه بسهولة ويسر .

وتعبر انتيجون عن رغبتهـا فى مرافقـة والدها ، فيذكرها تريزياس برغبتها فى الاخلاص للاله . فترد عليه بانها ـ فى صحبة

أبيها ـ ستكون مخلصة تماما للاله · ثم تطلب من والدها أن يضع يده على كتفها حتى تقوده الى حيث يريد · فهى لن تكل أو تمل ·

ولكن أوديب يخبرها انه لا يعرف الى أى هدف يسير · فلا وطن له ولا أسرة ·

وتتكلم « أسمين » معبرة عن حزنها لمصير والدها وانتيجون · وتخبرها انها سترتدى ملابس الحداد التى تليق وتلحقهما ممتطية جوادا ·

وقبل ان يمضى أوديب ، وينصرف · يعلن تريزياس ما أوحى اليه من قبل الالهة ، من انهم سيمنحون أعظم بركاتهم للأرض التى سيدفن فيها جثمان أوديب ·

فيعود كريون ليطلب من أوديب ان يبقى فى طيبة ، ولكن أوديب يعبر عن رغبته الحقيقية فى ترك طيبة ، وقطع كل ما بينه وبين الماضى من صلات ويقول أنه ليس ملكا ·· ولاشىء الا ابن سبيل فاقدا هويته وشخصيته ·

ولكن الجوقة ـ شعب طيبة ـ تغير من موقفها السابق من أوديب ·

فبعد أن كانت تطلب منه ان يرحل عن المدينة بسرعة · هاهى الآن ترجوه ان يبقى فى طيبة · ومن أجل ذلك فهى تذكره بما قدم لطيبة ، من قبل ، فهى الأحق به من غيرها ·

الا ان أوديب لا يهتم بذلك ·· يودعهم ·· وينصرف مع انتيجون التى أسلم قياده اليها وحدها ·

وتنتهى المسرحية

تحليل المسرحية :

لا شك فى أن المؤلف •• اندريه جيد قد اطلع وألم بمسرحية سوفوكليس « أوديب ملكا » (قبل كتابته لمسرحيته) ، الى جانب المامه بمسرحية «أوديب فى كولونا» فنحن نلحظ ـ من حيث الشكل ـ استفادة جيد من هذين العملين ، بل والعمل على استخلاص عمله من مزجهما سويا والخروج منهما بعمله ـ الذى طلع علينا أول ما طلع ـ مترجما للعربية بقلم الدكتور عميـد الادب العربى طـه حسين •

فقد جعل جيد من المسرحية الثانية امتدادا طبيعيا للأولى • فبعد أن كادت أو أوشكت المسرحية ان تنتهى نجده بجملة ترزياس القصيرة التى ذكر فيها ما أوحت اليه الآلهة من ان ما سيستقر فيها جسد أوديب من أرض ستنعم بالخير •• هذه الجملة التى قلبت أمورا كثيرة ، رأسا على عقب ، حيث تناقض الجوقة موقفها الأولى الذى أصرت عليه وهو انفاذ أمر الآلهة الذى يتمثل فى ترك أوديب للمدينة ونفيه منها •

وذلك عندما تطلب الجوقة من أوديب وتترجاه ان يبقى فى طيبة مدينته بين أهله وتعدد له مناقبه فى محاولة لاستمالته •

هنا الموقف الذى أشير اليه ، موقف الجوقة التى تمثل شعب طيبة هو موقفه الذى يوضح تماما مدى التلون والرياء والرغبة فى المصلحة الشخصية فحسب بغض النظر عن مصالح الآخرين •

وعموما نجح جيد فى تجربته المزجية والاستخلاصية ٠

وان كان لم يحالفه النجاح في ما ذكر من دوافع أدت بجوكاست الى قتل نفسها فهي دوافع فاترة وليست في حرارة دوافع جوكاست — سوفوكليس ٠

فرغم علم جوكاست بالحقيقة ، حقيقة كونها زوجة وأم أوديب في ذات الوقت الا انها تدعوه الى ترك الأمر وتناسيه وعدم شغل نفسه به ٠ بل وتحاول القاء تبعات كل ذلك فوق أكتاف الاله ٠ وقد كان جهدها كله موجها تجاه حماية القناع من التمزيق أو الاحتراق ٠ فلما حدث ما لم يكن في حسبانها ٠٠ ولما لم تستطع الصمود عارية أمام الجميع انسحبت من بينهم لتلقى حتفها ٠ فكان ذلك فاترا وغير مقنع ٠

وان كان **أبناء أوديب** لم يلعبوا دورا هاما في مسرحية سوفوكليس ، فنجد أن اندريه جيد قد اهتم بهم ايما اهتمام وأفسح أمامهم المجال في كثير من المواقف ليبرز من خلالهم ٠ ما تأثر هو به من علوم حديثة كعلم الوراثة ٠ فقد أظهر أتيوكل وبولينيس في ثوب عصرى تماما ٠٠ صورهما متأثرين بابيهما تأثرا كبيرا ووارثين عنه صفات وأفعال كثيرة ٠ بل انهما تجاوزاه بمراحل ٠ فان كان أوديب قد ظهر في المسرحية ملحدا ، لا يعترف بالله ولا يدين بفضل الا لنفسه ٠٠ فهم قد ورثوا عنه هذه الصفة ٠ وان كان أوديب طموحا ومفكرا وغير مقيد باغلال التقاليد الموروثة البالية في نظره ، فان كلا ولديه قد ورثا عنه ذلك ٠ فهما ثائران على معلمهما الكاهن ترزياس وغير معترفان بفضله عليهما ، بل انهما لا يستمعان اليه وكثيرا ما نقل كريون شكوى ترزياس الى أبيهم ٠

ثم انهما تجاوزا اباهما ليصرحا علنا باشتهائهما لاختيهما :

انتيجون وأسمين • وانتيجون هى الوحيدة التى أظهرها جيد وهى تلعب دورا ايجابيا فى المسرحية فهى ترفض مجرد تلميحات أخيها • ثم هى التى تصر على ان تقود أوديب الى منفاه وتصحبه • وهى قبل ذلك التى أفصحت لأمها عن رغبتها فى الاخلاص للاله •

ورسم اندريه جيد صورة انتيجون ، بالذات ، بهذه الطريقة يتفق الى حد كبير مع صور تلك الشخصية فى مسرحيات اسخيلوس وسوفوكليس القديمة •

★★★

أبقى اندريه جيد على وجود **الوحش أو أبى الهول** فى مسرحيته فهو الذى جعل أوديب يعتلى عرش طيبة ويتزوج من جوكاست ملكتها الايم • كما التزم جيد **بالنبوءة أو الوحى** ، فلايوس قد أطلعه الوحى على ما قدر عليه •• أطلعه على انه قد قدر عليه ان ينجب طفلا يقتله ويتزوج من أمه ويجلب الشقاء على طيبة • ولم يكد يولد الغلام حتى دفعه الملك الأب الى راع كلف بالقضــاء عليه • ولكن ينجو أوديب من مصيره الذى أراده له لايوس •

★★★

الا ان تشكك أوديب فى أهله عندما كان يقيم فى قصر بوليب وميروب معتقدا انه ابن لهما ، جاء هذا التشكك فى مسرحية اندريه جيد مخالفا للاسطورة ولمسرحية سوفوكليس •

فبدلا من ان يعيره أحد أصدقائه السكارى بنسبه مما يجعله يتوجه الى المعبد لاستشارة وحى الاله حول أصله مما يدفعه ، بعد ذلك ، الى ترك المدينة خوفا من تحقق النبوءة — فى بوليب وميروب• فقد جاء هذا فى مسرحية اندريه جيد بصورة مغايرة بعض الشيء • حيث تشكك أوديب فى أصله ، وعلم بما كتب وقدر عليه ، فى ذات

يوم ـ عن طريق كاهن كان يتحدث الى الناس عن مستقبلهم ، فلما تحدث لأوديب انبأه بانه قد قدر عليه ان يقتل أباه ، ولم يذكر شيئا عن أمه ، فأسرع أوديب الى بوليب وهو من كان يعتقد بانه أباه ، ليتحقق من االأمر ٠ فطمأنه بوليب بان لاخوف من تحقق هذه الكهانة فيه لأنه ليس أباه الحقيقى ، فأوديب لم ينحدر من صلب بوليب ، وانما هو ابنه بالتبنى ، ويروى له بوليب تأكيدا لذلك انه قد تلقاه من أحد رعاته الذى وجده معلقا من قدميه فى شجرة على قمة جبل ٠

وقد أثر ذلك التحوير فى هيكل المسرحية عند اندريه جيد ٠ فقد تحرك أوديب ، منذ البداية ، وهو يعلم أنه ليس ابنا لبوليب وميروب ، ولم يفعل جيد كما فعل سوفوكليس باوديب أو كما فعلت به الاسطورة ، أقصد أنه لم يجعله يترك كورنثه هربا من تحقق النبوءة فى أبويه أو من كان يظن أو يعتقد أنهما أبواه ٠٠ فلم يخرج هائما على وجهه ٠٠ يسير بلا هدف سوى البحث عن حقيقته ، بل جعله اندريه جيد فى مسرحيته يخرج حرا ٠٠ عارفا الى حد كبير لما هو مقدم عليه ٠٠ وأهم من ذلك كله أن سبب خروجه الحقيقى من قصر بوليب ومن المدينة بأكملها كان تجسيدا لرغبته فى عدم الحصول على مالا يستحق ، فقد كان يعلم أنه سيرث عرشا لا يستحقه ، عرش كورنثه ، بعد وفاة بوليب الذى لم يكن يوما أباه ٠ ومن هنا غادر أوديب القصر والمدينة ٠

ولم يرسل أندريه جيد الرسول الكورنثى الى أوديب وهو ملكا على طيبه ليخبره بوفاة بوليب ، وينقل اليه رغبة الكورنثيين فى ان يصبح ملكا عليهم بعد وفاة ملكهم ، ذلك الموقف الذى حرص عليه سوفوكليس حرصا عظيما وبنى عليه استكشاف أو انكشاف الحقيقة لأوديب ٠ لأول مرة ٠٠ حقيقة أنه ليس أبنا لبوليب وأنما تلقاه من يد هـذا الرسـول ذاته الماثل بين يدى أوديب فى تلك

اللحظة .. ذلك الانكشاف الذى مهد للانقلاب Reversal فى المسرحية وغير من مسار الاحداث فيها فعجل بها نحو النهاية .

أقول أن اندريه جيد ــ أساسا ــ قد اسقط هذا الموقف من المسرحية حيث جعل أوديب ، عنده ما يستكشف حقيقة كونه قد قتل أباه وتزوج من أمه بطريقة مغايرة تماما لتلك التى استخدمها سوفوكليس . كما أن أوديب عند اندريه جيد ، وكما سبق أن قلت ، قد خرج من كورنثه وهو يعلم تماما أنه ليس ابنا لبوليب . فما الداعى اذن لاحضـــار رســول يخبر أوديب بشىء هو على علم به منذ البداية ؟ .

كانت هذه احـــدى النقاط التى اختلف فيهـــا جيـــد عن سوفوكليس وعن أطار الاسطورة العام .

وأختتم حديثى عن مسرحية اندريه جيد بهذا الرأى فيها

« كتب اندريه جيد دراما من ثلاثة فصول سماها (أوديب) أبرز من خلالها ، بلهجة ساخرة ، كل ما فى الاسطورة القديمة من لبس وابهام ، كل ما فيها من تعقيد ، بالرغم من بساطتها الظاهرة . فأوديب ، كما صوره جيد ، انســـان بصير بالامور ، عرف كيف يحل لغز أبى الهول ، لكنه فى الوقت نفسه أنسان أعمى ، يقول عن نفسه أنه « أبن القدر » عندما يجعل القدر منه ملكا ، وأن كان قد حاول أن يهرب منه فى البداية ، عندما قيل له أنه سيقتل أباه ويتزوج أمــه ، ويتســـاءل : هل هـــــذا ممكن ؟ نعم اذا كان المعنى بالامر متحالفا مع القدر نفســـه . يدل كل شىء بالفعل على أن أوديب لا ينكر وجود الاله ، لكنه يتصرف كما لو كان غير موجود ، اذا كان أوديب مجرد لعبة فى يد الأقدار ، واذا كانت فكرة الآلهة من شأنها ان تحطم الانسانية فمن واجب الانسان أن يتجاهل القدر والآلهة . استوحى جيد مأساة سوفوكليس ، لكنه فى الوقت

نفسه ابدع عملا فنيا مبتكرا ، لانه قلب مادة الاسطورة رأسا على عقب خلص وجه أوديب مما تراكم عليه على مر السنين وأضفى عليه قلقه هو الداخلى ، وآكسبه تعبيرات لم يعرفها من قبل .

كما أثار جيد قضية الحرية ، ووقف منها موقف النفى المطلق طوال الوقت الانسان مسير ، ومن ثم ، يوضع سلفا فى وضع يحول دون تصرفه بحرية ، كيف يسأل اذن عن أفعاله ؟ .. يصيح أوديب قائلا : لم يكن فى وسعى الا أن آفعل ما فعلته ...

لذا يثور على كبير الكهنة عندما يدعوه للتوبة ويتهم الآلهة بخداعه ، ومن ثم كان تطلعه الى التحرر من سيطرتهم ، خاصة أن كل الدلائل تشير الى انهم ميالون الى الزج بالجنس البشرى فى طريق الشر . نقول أخيرا : أن دراما جيد قد تتلخص فى العبارة الاتية : انها مناقشة أخلاقية واسعة تعكس فكر المؤلف نفسه . » (١)

---

(١) د. سامية أحمد أسعد ـ مقدمة مسرحية الآلة الجهنميـة لجان كوكتو ـ ت : فتحى العشرى ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٦٩ .

الباب الثالث

الآلة الجهنمية La Machine Internal ١٩٣٤

لجان كوكتو Jean Cocteau

مسرحية « الآلة الجهنمية »
لجان كوكتو

مقدمة عن المؤلف : جان كوكتو Jean Cocteau

جان كوكتو ‥ رجل مسرح ، ومخرج سينمائى ، وفنان تشكيلى ، وان كان ما يهمنا هنا هو جان كوكتو رجل المسرح الذى ولد عام ١٨٩١ .

وبدأت رحلة جان كوكتو مع المسرح عام ١٩٢٠ حيث قدم باكورة أعماله ، وهى كوميديا بعنوان « جاموس على السطح » ثم قدم بعدها مسرحيات :

عرسان برج ايفل ـ روميو وجولييت ـ ثم أنتيجون ـ اورفيه ـ الصوت البشرى ـ ثم جاءت الآلة الجهنمية ـ بعدهم جميعا فى ابريل من عام ١٩٣٤ ، فكانت أكثرهم طولا حيث كانت مسرحية من أربعة فصول ، بينما كانت معظم مسرحياته الفائتة من ذوات الفصل الواحد أو ال One Act Play

وبعد « الالة الجهنمية » قدم كوكتو عام ١٩٣٧ مسرحية من ثلاثة فصول هى : « فرسان المائدة المستديرة » ثم تبعها بمسرحية

من نفس الطول فى العام التالى مباشرة ظهـرت بعنوان « الآبـاء المزعجون » ٠

وفى عام ١٩٤٠ قدمت له مسرحية من ثلاثة فصول أيضا هى مسرحية :

« الوحوش الآدمية » ٠

وفى عام ١٩٤١ تقدم بمسرحيته « الآلة الكاتبة » وفى العام التالى تقدم بمسرحية « رينووامرميد» ومسرحية «النسر ذو الرآسين» التى نالت شهرة واسعة ٠ ثم تمضى السنون ويقدم كوكتو مسرحيته الأخيرة « باخوس » فى عام ١٩٥١ لينهى بهـا رحلته مع المسرح التى انتهت قبل وفاته بست عشرة سنة ٠ حيث توفى فى يوم ١١ أكتوبر سنة ١٩٦٧ ٠

ويعتبر جـــان كوكتو من رواد الاســلوب التعبيرى ، أو قل الاسلوب السريالى ، ويرى فيه النقاد ، من أمثال اريك بنتلى ، كاتبا منعشا تتبدى فى مؤلفاته آمال المسرح المعاصر ، ومهما يـكن فان أعماله لاتتسم بالتقاليد ، أو الجمـود ، اذ يزدرى معظمها بالمنطق والواقعية وينغمس فى عوالم من الغرابة واللاشعور والانفعالية ٠

وربما كان أفضل مسرحيـــاته فى هذا المضمار مسرحيـــة « الآلة الجهنمية » التى تعتمد على أسطورة أوديب ، وان كانت تنظر الى البطل المأسوى باعتباره ضـــحية لآلة التعذيب الجهنمية التى يبتكرها آلهة مجردون من الانسانية » (١) ٠

فماذا فعل جان كوكتو فى « الآلة الجهنمية » ؟

---

(١) فرانك م٠ هوايتنج ٠ المدخل الى الفنون المسرحية ٠ دار المعرفة القاهرة (١٩٧٠) ٠

لقد استقى كوكتو من ينبوعى الدراما الرئيسيين .. الأسطورة والشعر تماما كما فعل سوفوكليس من قبل . فهما يشتركان في كون كل منهما قد عالج الاسطورة بالشعر أو عالجها شعرا . ولكن الاختلاف في رؤية كل منهما للأسطورة واختياره لأجزائها المناسبة لمسرحيته وتركه للباقي وأيضا اختلفا في ان سوفوكليس قد استخدم الشعر اليوناني القديم ولاسيما الوزن الايامبى وهو ذلك الوزن الذى يناسب أكثر من غيره طبيعة الحوار التي تقوم عليه الدراما . وفى هذا يقول أرسطو فى كتابه فن الشعر : « فان العروض الايامبى هو أليق الأعاريض بالحوار ، ودليل ذلك أنه كثيرا ما يتفق لنا فى أحاديثنا كلام موزون على العروض الايامبى » (١) .

لكن جان كوكتو قد استخدم بحورا أخرى فى الشعر الفرنسى ملائمة أيضا لمسرحيته وان كانت قد اختلفت مع بحور سوفوكليس اليونانية .

وأما عن الأسطورة ، فقد بدأ سوفوكليس مسرحيته بداية متأخرة بعض الشيء ، أو بداية تقع فى نهاية الأسطورة . فقد بدأها بعد ان علم أوديب بالنبوءة وخرج من كورنثة الى طيبة حيث قتل لايوس دون علم وتصدى لأبى الهول وحل لغزه . وتوج ملكا على المدينة وتزوج من جوكاست وأنجبا أولادا . تبدأ مسرحية سوفوكليس من موقف يستشرى فيه الطاعون فى المدينة ويأتى الشعب الى أوديب طالبا منه ان ينقذ المدينة . حيث تكلله أغصان الغار والزيتون . ثم يرسل أوديب كريون ليستشير الآلهة ويأتى كريون بلغز جديد ـ يجب أن يحله أوديب أصعب من لغز أبى

---

(١) ارسطو ، فن الشعر ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة .

الهول وهو اكتشـــاف بسبب الرجس والطاعون . من هنـــا بدأ سوفوكليس بداية مناسبة حققت له تركيزا فى المأســاة وصبغتها بلون مأسوى . وجعلتها تلتزم بوحدتى الزمان والمكان اللتين أدتا الى وحدة الحدث .

أما كوكتو فقد بدأ مسرحيته من نقطة قبل النقطة التى بدأ منها سوفوكليس بكثير . بدأ قبل حل اللغز وانقاذ المدينــة .. قبــل الزواج والانجاب .. ومن هنا لم تلتزم مسرحية كوكتو لا بوحدة الزمان ولا بوحدة المكان ولا الحدث نتيجة لهذه المســاحة الزمنية العريضة التى امتدت عليها أحداث المسرحية . فنحن نجد سبعة عشر عاما تمر فى استراحة الفصـــل الثالث وحـدها . ونرى أماكن المسرحية تتغير وتتباعد عن بعضها .

وبعد الحديث عن البداية أتحدث عن البناء الدرامى :
Dramatic Structure

ابتنى كوكتو مسرحيته من أربعة طوابق أو أربعة فصول . وان كان الفصل الأول لا تؤدى نهايته الى الفصل الثانى بل انه جعل الفصلين الأول والثانى يسيران جنبا الى جنب ففى الوقت الذى يجرى فيه الحدث فى الفصـــل الأول حيث نرى جنـود الدورية والشبح ثم قدوم جوكاست بعد علمها بهذا الشبح بصحبة العراف ترزياس . فى الوقت نفسه يكون أوديب على وشك ان يلتقى بأبى الهول خارج المدينة . فحقق لنا كوكتو بذلك **ازدواجية فى الحــدث أو حدثين فى وقت واحد .**

ثم يأتى الفصل الثالث فيقع ــ من الناحية الزمنية ــ بعد كل من الفصلين الأول والثانى وقبل الفصل الرابع بسبع عشرة سنة .

ويبدأ كوكتو فصول مسرحيته **بصوت** .. استطاع ان يلخص فيــه عــدد الجوقة أو الـ Chorus اليونانى والذى بلغت عنده

سوفوكليس خمسة عشر شخصا • وان كان قد أعطى هذا الصوت أكثر مما أعطى سوفوكليس الكورس عنده من وظيفة • او أقصد ان هذا الكورس يختلف عن كورس سوفوكليس فهو عند سوفوكليس ، يغنى أحيانا ويرقص ثم يعلق على الحدث ويحكم عليه أو يناقش أو هو يخبر أو يتنبأ بقدوم شخص ملثم ، أنبأنا بقدوم كريون من المعبد •

أما الصوت عند كوكتو فهو يقص على متفرج القرن العشرين كل الأحداث التى سبقت المسرحية والتى جاءت بالاسطورة ، والتى قد لا يعرفها كل المعرفة ذلك المتفرج ، ولكنه يتوجه للمتفرج مباشرة قائلا له : شاهد أيها المتفرج ، آلة من أدق الآلات تصميما ، ضبطت بحيث تدور حركتها متصلة بطيئة طوال حياة انسانية معينة ، وقد صنعتها الآلة الجهنمية لتحطم بها ، بطريقة رياضية بحتة ، واحدا من بنى البشر » (١) • هذا الحوار الذى يخاطب الجمهور مباشرة ، يخاطب عقله وليس عاطفته ووجدانه ، هذا الحوار يكسر الايهام الدرامى Dramatic Illusion وكأنه يقول للمتفرج ، ان ما تراه هو تمثيل فى تمثيل ، كما انه يعطل الحدث بعض الوقت ويوجه تفكير المتفرج منذ البداية الى خط فكرى معين رسمه المؤلف من قبل وهاهو يشير اليه •

ومن خلال حوار **الفصل الأول** ذلك الحوار الذى يدور بين الجندى الصغير وزميله فى الدورية يصور لنا كوكتو تلك الحياة التى تملكها الجمود الرهيب والضيق من هذا الحيوان الذى سيطر على المدينة • مجسدا بذلك أهمية هذا الحيوان ومكانة من سيتخلص منه كما يصور من خلال الحوار فى هذا الفصل طبيعة جوكاست وترزياس أو هو يرسم الخطوط الأساسية لهما كشخصين من

(١) جان كوكتو • مسرحية الآلة الجهنمية ـ ترجمة فتحى العشرى ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٦٩ •

شخصيات المسرحية الرئيسية ، **فجوكاست** تتكلم بلغة الملوك . وهى حزينة على عدم امكانها رؤية شبح لايوس زوجها . ولكنها تبدو أولا وقبل كل ذلك امرأة فهى تعجب بالجندى الصغير وتقول لترزياس « أرأيت كم هو جميل » (١) ؟ ثم هى ترى متعة لا عيبا فى ان يعاشر الابن أمه حيث تقول : « ليس فى هذا شيء من الحماقة يا ترزياس . فهل هناك أسرة أكثر انسجاما ، أسرة أشد عطفا وقسوة معا ، أسرة أكثر اعتزازا بنفسها من هذا الثنائى المكون من ابن وأم وشابه ؟ » (٢) لقد رسم كوكتو من خلال هذا الفصل الأول صورة جوكاست ــ المرأة رسما واضحا . وسنرى فى الفصول التالية اذا ما كان اعطاها ملامح أكثر أم اكتفى بما رسمه فى الفصل الأول .

أما **ترزياس** فقد رسمه كوكتو مغايرا تماما لترزياس سوفوكليس .. فهو لا يرتفع أو يبلغ سمو مكانة مثيله عند سوفوكليس .. انه يبدو ضعيفا ونلمس ذلك عندما تخاطبه جوكاست قائلة : « كم انك مزعج ومفزع ، دائما تعطل الانطلاق . وتمنع دائما وقوع المعجزات » (٣) . وهى تحتقره أو تقلل من شأنه قائلة .. « ان الملك لايوس تكلم أمام هؤلاء الناس .. تقصد الجنود .. لم يتكلم اليك انت ولا الى كريون » (٤) .

وننتقل الى **الفصل الثانى** الذى تجرى أحداثه فى نفس زمن الفصل الأول والذى يعطيه كوكتو عنوان « لقاء أوديب وأبى الهول » وهو من ناحية البناء غير مرتبط بالفصل الأول بأى نوع من الارتباط ــ يبدأه كوكتو بالصوت الذى يتوجه للمتفرج قائلا : « أيها المتفرج ستتخيل رجة فى الزمن وتعيش فى مكان آخر نفس اللحظات التى عشتها الآن معنا » (٥) .

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) جان كوكتو ، الآلة الجهنمية . ترجمة فتحى العشرى ــ مكتبة الانجلو المصرية ــ القاهرة ١٩٦٩ ــ ط (١) .

ويبدأ الحوار فى الفصل الثانى بين آبى الهول وأنوبيس • ومنه يدرك ان أبا الهول قد ضاق ذرعا بتلك الحياة المليئة بالقتل • وقد ذكر كوكتو ذلك على لسـان أبى الهول ليمهد بذلك للموقف الذى بين آوديب وأبى الهول والذى يسلم فيـه ابا الهول مفتاح اللغز راضـيا الى أوديب ليحله وينتصر عليه ويخلصـه من تلك الحياة ، التى سأمها • ويقلل كوكتو بذلك من بطولة أوديب فى حل اللغز فهو لم يحل هذا اللغز بطويل تفكر أو عميق تأمل وانما حله عندما ردد كلمة أبى الهول نفسه •

وقد صور لنا **أبو الهول** تصويرا آدميا أو صوره فى صـورة انسانية فى صورة امرأة تحب أحيانا ويسيطر عليها هذا الحب بل وتغير أيضا • انها فى لحظة تهتم بالجنس أكثر من أى شىء آخر • وتستخدم أساليبها لايقاع من تحب فى شـباكها • فهى تقول لأوديب محذرة من جوكاست التى من الممكن أن تصبح شريكتها فى حبها أوديب •• فتقول :

« امرأة كان من الممكن ان تكون امك ! » (١)

ولكونها أحبته فهى تحاول انقاذه من ذلك المصير الذى ينتظره عن طريق طرح سؤال أو تساؤل وهو « **اليست الطريقة المضمونة لإحباط النبوءة هى الزواج من امرأة تصغرك سنا ؟** » (٢)

ولكنه لا يهتم بتساؤل أبى الهول الذى مازال متخفيا • ويرد عليه قائلا : « **لا •• كلا •• سأجـرب حظى** » (٣) ، ان المسـألة بالنسبة لأوديب هى حظ • أو كما يقال « ضربة حظ » يستطيع من من خلالها ان يصبح ملكا وزوجا لجوكاست دونما حساب لأى شىء غير ذلك •

(١،٢،٣) نفس المرجع السابق •

ويستخدم كوكتو « المفارقة الدرامية Dramatic Irony كثيرا . ففي هذا الفصل نجد هذا الحوار :

الابن : أماه ، قولى ، .. هذه السيدة .. هل هى أبوالهول ؟

المربية : انك فى منتهى الغباء (مخاطبة أبا الهول) سامحيه ، فى هذا السن لايعرفون ما يقولون .

الابن : أماه . هذه السيدة هى أبو الهول (١) .

فى هذا الحوار نلمح مفارقة درامية ناتجة عن سخرية مرة . من كوكتو بهؤلاء ، الذين يدعون أنهم كبار وانهم يعلمون كل شيء . ولكن فى الحقيقة هم لايعرفون شيئا على الاطلاق .

ان الطفل الذى تتهمه أمه قائلة : « انك فى منتهى الغباء » (٢) هو فى الحقيقة أذكى من تلك الأم لأن مايرى انه أبو الهول هو فعلا أبو الهول . ولكن هذه المربية الأكبر سنا ، والأوسع علما تبدو من خلال هذا الحوار دمية صغيرة نضحك عليها جميعا . لأننا نعلم حقيقة أبى الهول وهو أيضا يعلم حقيقة نفسه وحتى الابن الصغير استطاعت ان تدركه سليقته أو يدله احساسه على الحقيقة بينما هى تبدو الجاهلة . مفارقة لطيفة وقوية وان كانت تعبر عن رأى كوكتو فى قضيته .

والفصل الثالث ملىء بالمفارقات الدرامية الأخرى سأتناولها حين أصل اليها .

وبعد أن يكشف أبو الهول عن حقيقته لاوديب ويخاف أوديب ويرتعد نرى مونولوجا أو Monologue طويلا جاء على لسان أبى الهول موجها لأوديب عطل الحدث وأعاق الحركة على المسرح وكشف عن

(٢،١) نفس المرجع السابق .

عجز كوكتو فى رسم شخصية أبى الهول عن طريق الحوار فجاءت هكذا بطريقة روائية سردية ضعيفة . حيث يقول أبو الهول :

« لا فائـدة من اغماض العينين وادارة الرأس ، لأننى لست بالغناء ولا بالنظر أمارس عملى ، لكننى ، أمهر من ضرير ، وأسرع من شبكة المصارعين ، وأروع من الصاعقة ، وأصلب من الحوذى، وأثقل من البقرة ، وأعقل من تلميذ يمط لســانه بالأرقام . اننى أكثر عدة وأشد مراسا وأكثر شراهة ، وأكثر اهتزازا من السفينة ، وأنزه من قاض ، وأكثر شرها من الحشرات (١) .. الخ ، ما جاء على صفحتى ٥٨ و ٥٩ من النص المترجم .

وينهى كوكتو الفصل الثانى بانتصار أوديب المريض وانطلاقه الى المدينة دونما شكر أو عرفان بالجميل لذلك الذى منحه هذا النصر .

ويبدأ الفصل الثالث « ليلة العرس » .. يبدأه كوكتو بنفس الصـــوت الذى سبق انفراج ســتار فصـــلى المسرحية الأولين ، والصوت فى هذا الفصل يروى أو يسرد ما وقع من أحداث دون أن يخاطب الجمهور مباشرة مثلما فعل من قبل ، يروى ما حدث منذ الفجر من حفلات تتويج وعرس . وجماهير تجىء لتهتف بحيـاة الملكة وقاهر أبى الهول . ثم يلتقى أوديب وجوكاست وجها لوجه فى غرفة العرس التى بها الى جوار سرير العروسين مهد طفل . يرمز به كوكتو لطفولة أوديب .

جوكاست : « انى خائفة ان تصبح تلك الغرفة قفصا لك وسجنا »(٢)

---

(١) ، (٢) جان كوكتو ، الآلة الجهنمية ، ترجمة فتحى العشرى ـ مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة ١٩٦٩ ط (١) .

بهذه الجملة يبدأ الحوار في الفصل الثالث · يبـدأ الحوار ليصنع مفارقة دراميـة ، فجوكاست عن جهـل بالحقيقة تعبر عن خوفها ، ان تصبح تلك الغرفة سـجنا ، تقول ذلك لأوديب الذى يجهل الحقيقة أيضا ·· حقيقة ان هذه هى الحجـرة التى نام فيها أبوه (لايوس) مع أمه (جوكاست) وانجباه وخصصـا له ذلك المهد الصغير الذى يسند أوديب الآن رأسه اليه ويراه « مهد حظه » ان المفارقة هنا صنعها كل من : جهل جوكاست وأوديب بالحقيقة وعلم المتفرج بها ·

يعتبر هذا الفصـــل أسرع ايقاعا Rethm من الفصـلين الأولين · وقد اعتمد فيه كوكتو على الكلمة ولكن ليست وحدها · بل استخدمها الى جانب الحركة ولحظة الصمت · فالحوار وحده لا يستطيع ان يوصل المعنى في أحيان كثيرة بغير حركة الممثل التى تكمل المعنى أو لحظة الصمت ·

كما استخدم كوكتو « وسيلة » لا تكاد تخلو منها مسرحية سريالية المذهب واقصد بهذه الوسـيلة ·· **الحلم** ·· ذلك الحلم السريالى الذى يســتخدمه للتعبير مباشرة عن مكنونات العقـل الباطن وطرحها دونما سيطرة من العقل الواعى عليها ، ليعرض لنا داخل شخصياته الى جانب خارجها ، محدثا بذلك **ازدواجيـة فى الصورة** · وهو يسـتخدم حلما لأوديب وحلما لجوكاست ليتعرف كل منهما على داخل الآخر ، ولنكتشف نحن داخلهما معا · فأوديب يحلم انه أمام أنوبيس ·· اله الموت ·· الذى يذكره بزيف نصره أو انتصاره وفضل أبى الهول عليه · وجوكاست تحلم وهى واقفة بذلك الكابوس الذى تخافه وتخشـاه فتصرخ وتخاف ان يسمعها أوديب بينما هو أيضا خائف أن تكون قد علمت بما دار فى الحلم·

وينهي كوكتو ذلك بدعوة جوكاست لأوديب أن يستعد لاستقبال ترزياس كشكل ملازم لعملية اتمام الزواج • ويرفض أوديب ولكنه يعود فيقبل بعد قبلة من جوكاست •

ويدخل ترزياس على أوديب ويتبادلا حوارا يتسم بالسرعة والتوتر Tension والغرابة ، فنحن نقرأ هذا الحوار بين ترزياس وأوديب :

ترزياس : ان دلائل المستقبل شؤم عليك ، غاية في الشؤم • ومن واجبي ، أن أحذرك ••

أوديب : وحق الآلهة • كنت أنتظر ذلك • والعكس كان سيدهشني • ليست هذه أول مرة تتحايل فيها النبوءات على •• وليست هذه أول مرة تحبطها شجاعتي •

ترزياس : هل تعتقد بالقدرة على احباطها ؟

أوديب : مانذا الدليل وحتى اذا أزعج زواجي الآلهة •

ترزياس : كان من الممكن ان تكون جوكاست أمك •

أوديب : كنت أحلم دائما بحب من هذا النوع •• بحب يكاد يكون أمويا (حب الأم) •

ومن هذا الحور نستطيع ان نلمس ذلك الجو النفسي لتلك المقابلة بين أوديب وترزياس •• ان ترزياس يعتبر أوديب غير أهل بالملك والملكة فهو في نظره أمير من الشارع • وما ان يعلم أوديب بذلك حتى يطمئنه انه ابن بوليب وميروب ملكا كورنثه وانه هارب من نبوءة •

وقبل ان يعلم ترزياس بذلك نجده يطلع أوديب على دلائل المستقبل •• تلك التي يصفها بانها غاية في الشؤم • وكان ينتظر

ان يخاف أوديب ويرتعد من ذلك . لكن فاجأه رد أوديب حين يقول : « كنت انتظر ذلك . والعكس كان سيدهشنى (١) ، ولعل كوكتو يكمل بهذا الحوار رسم بقية ملامح أوديب التى بدأ فى رسمها فى الفصل الثانى . انه .. أقصد أوديب ، متطاولا . غير مهتم بما تحمله دلائل المستقبل . لايهمه ان يزعج زواجه الآلهة .. انه يتحداهم . ولا تثير فى ذهنه هذه الجملة أدنى شك فى هذا الزواج عندما يقول له ترزياس » : كان من الممكن ان تكون جوكاست أمك » (٢) . ولكن لا شك قط يثار بداخل أوديب ان رده غريب .. غريب .. حين يقول : « كنت أحلم دائما بحب من هذا النوع » (٣) . معنى ذلك ان أوديب كان يحلم بحب أمه . ومن هنا فليس من المعقول ان يفكر قط فى مدى شرعية زواجه منها وهل جوكاست أمه . أم غير ذلك .

وكان كوكتو قد أثار فى نفس جوكاست احساسا ما تجاه أوديب فهى تقول :

جوكاست : كنت مضطربة .. لأنه كان يشبهك (تقصد جندى الدورية الصغير) ، وصحيح هو يشبهك يا أوديب ..

أوديب : تقولين .. هذا الحارس كان يشبهك « لكن ياجوكاست لم تكونى تعرفيننى بعد .. كان مستحيلا ان تعرفى ، ان تخمنى .

جوكاست : حقا ياعزيزى .. قصدت بلا شك ان أقول ان ابنى كان سيكون فى مثل شكلك (فترة صمت) نعم .. انى مرتبكة .. الآن فقط وضح هذا التشابه فى نظرى .. (تفض هذا الاضطراب) انت طيب يا أوديب انت جميل .. احبك (٤) .

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) نفس المرجع السابق

ويبدو أن جوكاست قد أدركت فعلا كون أوديب ابنها بدليل ذلك الاضطراب الذى سيطر عليها ، والذى أخرجت نفسها منه عندما غيرت مجرى الحديث قائلة :

« انت طيب يا أوديب ، انت جميل ، أحبك » . انها عرفت حقيقة أوديب ولكنها لاتستطيع ان تضحى به فى سبيل اعلان هذه الحقيقة . « انه جميل » ، وهى « تحبه » فكيف تضحى بهذا الجمال وهذا الحب فى سبيل اعلان الحقيقة . انها امرأة مليئة بالحيوية والحب والجنس . بلا زوج .. وأمامها كل ذلك . فهل تضيعه ؟ وكوكتو يصور أوديب وكأنه لا يعانى من الداخل لا يخاف من النبوءة التى كتبت عليه ان يتزوج أمه . أنه لا يخالجه أدنى شك . ويترك الأمور تجرى بتلقائية وطبيعية تامة بدون أى تدخل منه لمنع وقوع الكوارث .

ويختم كوكتو هذا الفصل بصوت سكير تصبب الحجارة التى يلقيها من فمه ، تصيب الملكة وتجرح شعورها وتذكرها انها أكبر ممن ستتزوج .

وتمضى على هذه اللحظة سبعة عشر عاما يجعلها كوكتو تمر بين نهاية هذا الفصل وبداية الفصل الأخير الذى أعطاه هذا العنوان « أوديب ملكا » والذى تكمن فيه بحق مأساة أوديب وقبل ان ينفرج الستار عن أحداث هذا الفصل الأخير نستمع الى الصوت الذى يصدره كوكتو فى بداية كل فصل ، وان كان صوت الفصل الأخير هو نفسه جوقة سوفوكليس Cohrous لأنه ينطق بنفس ماسبق ونطقت به جوقة سوفوكليس . انه يعلن ان الطاعون بدا يجثم على طيبة كما لو كان أول عثرة فى حظ أوديب الشهير .

وينفرج آخر ستار فى المسرحية عن أوديب بين ترزياس وكريون . وقد ظهرت على أوديب آثار التقدم فى السن يقف الثلاثة

في مواجهة رسول كورنثه الذى يطلب منه أوديب ان يقص عليه كيف مات بوليب وما هي الحالة التي عليها ميروب • وعندما يضع أوديب يده فوق فمه ، وينادى جوكاست لينقل اليها احساسه بالفرح بعد سماعه خبر وفاة بوليب وبطلان النبوءة • عندما يفعل ذلك يستأذنه الرسول فى الحديث فيسمح له أوديب • فنرى الرسول يقول (١) :

الرسول : « كان على أن ابدأ بالنهاية ، فقد كلفنى ملك كورنثه ، وهو على فراش الموت بأن أخبرك انك لم تكن غير ابنه بالتبنى » •

فيصعق أوديب : ويقول له : ماذا ؟ فيكمل الرسول

الرسول : لقد عثر عليك أبى ، وهو راع من رعاة بوليب ، من زمن ، فوق تل ، وانت عرضة للحيوانات المفترسة ، كان فقيرا ، فحملك الى الملكة التي كانت تبكى لأنها لم ترزق بطفل• هذا ما دعانى الى القيام بهذه المهمة الغير عادية لدى قصر طيبة » •

ومن هذا الموقف يبدأ ال Tension أو التوتر الدرامى • والحدث المتصاعد للذروة • فاوديب اكتشف انه ليس ابن بوليب ، وهو يجهل حقيقة نسبه ، لكنه بدأ يشك انه هو الطفل الذى أرسلته غسالة القصر الى الجبل وعلقته من قدميه المثقوبتين فى جذع شجرة كما أخبرته بذلك جوكاست ذات يوم منذ سبع عشرة سنة • بعد ذلك يبدأ أوديب فى استرجاع الماضى أو يقوم بعملية Flash Back فيتذكر انه قد قتل رجلا • لعله هو لايوس وعندما تقاطعه جوكاست مستفسرة : ماذا ؟ يبدأ أوديب في استرجاع

---

(١) نفس المرجع السابق •

ما حدث بالكامل يوم أن جاء من كورنته هربا من أبويه وما صادفه عند مفترق طريقي دلفي ودوليس حيث كانت حادثة قتـــل ذلك الشيخ العجوز نتيجة لضربة خاطئة أو طائشة أصابته من أوديب وتستطيع جوكاست ان تكتشف من رواية أوديب الحقيقة المرة ٠٠ حقيقة قتله لأبيه كما تتأكد من ان أوديب هو ولدهـا وزوجهـا في نفس الوقت وان أولادها هم اخـوته فى ذات الوقت ويعقب هذا الاكتشاف تحول Reversal فى شخصية جوكاست يؤدى الى تحول فى الحدث نفســـه أو ال Plot فتتحول جوكاست من السعادة الى الشقاء مما يجعلها تخنق نفسها بذلك الوشاح الاحمر الذى أشار اليه كوكتو أكثر من مرة ٠٠ ويتبع ذلك اكتشـــاف أوديب نفســه للحقيقة وتحول Reversal فى شخصيته من السعادة الى الشقاء فيفقأ عينيه بمشبك الزوجة الذهبى ٠٠ وعن طريق ذلك تقترب المسرحية من نهايتها المأسوية محدثة بذلك التطهير فى نفس المتفرج أو ال Catharsis ذلك التطهير الناتج من اثارة كوكتو عاطفتى الشفقة والخوف لدى المتفرج ٠ الشفقة على كل من جوكاست وأوديب والخوف من مقابلة ذلك المصير الذى قابلاه ٠

ونلاحظ هنا ان كوكتو جعل جوكاست هى التي تقوم بعملية الاكتشاف وليس أوديب كما فعل سوفوكليس ٠ ثم انه أعطى لكل من جوكاست وأوديب نفس القدر من الاهتمام فى نهاية المسرحية فجعلهما معا بطلا المسرحية ٠

وتنتهى المسرحية بخروج أوديب قائلا : « اطردونى ، أجهزوا على ، ارجمونى » ٠

يخرج فى صـحبة انتيجون الأبنة الوفية التى تسلمه عصا ترزياس فيقبلها راضيا مذكرا ترزياس بتنبئه منذ ثمانية عشر عاما عندما قال له : انك ستصبح أعمى ٠

ومع ان أوديب قد أصيب بالعمى الا أنه يرى شبح أمه جوكاست وليست زوجته ، تلك الأم التى تهديه ولا تستطيع ان تتركه • انها تساعده الآن • وتنتهى المسرحية •

هكذا ينهى كوكتو « الآلة الجهنمية » نهاية بعد نهاية سوفوكليس فى « أوديب » •

الجزء الثاني

أسطورة أوديب فى المسرح المصرى المعاصر

● الباب الأول :
.. الملك أوديب : ١٩٤٩
لتوفيق الحكيم

● الباب الثانى :
.. مأساة أوديب : ١٩٤٩ أيضا
لعلى احمد باكثير

● الباب الثالث :
.. كوميديا أوديب او انت اللى قتلت الوحش
١٩٧٠ لعلى سالم

● الخاتمــة :

الباب الأول

الملك أوديب ١٩٤٩
لتوفيق الحكيم

الملك أوديب ١٩٤٩
لتوفيق الحكيم

مقـــدمة :

يعتبر توفيق الحكيم اول من عالج اسطورة اوديب في مسرحنا المصرى . وذلك في مسرحية : « الملك اوديب » التى نشرت عام ١٩٤٩ ، فكانت بذلك المعـــالجة المصرية الأولى للأسطورة اليونانية القديمة .

وبعد مسرحية «أوديب الملك» لتوفيق الحكيم ظهرت مسرحية على أحمد باكثير فى نفس العـــام تعالج نفس الأسطورة من وجهة نظر اخرى .

وفى عام ١٩٧٠ ظهرت المحاولة الثالثة المستوحاة من الأسطورة « كوميـــديا أوديب » او « انت اللى قتلت الوحش » من تاليف على سالم ، لتصبح الكوميديا الأولى فى مسرحنا المصرى المستوحاة من الأسطورة الاغريقيـــة القديمة ...

أبتـــاه ! ....

انك لم تكن قط بطلا ، مثلما أنت اليوم ! ....

انتجونه
فى
« الملك أوديب »
لتوفيق الحكيم

عرض ملخص للمسرحية

الفصل الأول :

يجرى المنظر فى بهو بقصر « أوديب » حيث يقف مستندا على أحد الأعمدة ، مفكرا فى المدينة ، ناظرا من خلال شرفة رحيبة ·

وامعانا فى التأكيد على شرود ذهن أوديب ، يدخل « الحكيم » جوكاست وأولادها بهـو القصر حيث تتساءل « انتيجـون » : « ما باله يرسل البصر هكذا للمدينة ؟ » ، فتطلب منها أمها أن تذهب لتسرى عنه ، فهى وحدها التى يصغى اليها دائما ، فيؤكد الحكيم هنا · منذ البداية ، على المكانة التى تحتلها « انتيجون » لدى « أوديب » والدها · ويمهد « الحكيم » بذلك ، سبب اصطحاب أوديب لانتيجون بالذات دون غيرها فى نهاية المسرحية ·

ويحس « أوديب » بزوجته ، وأولاده فى لحظة متأخرة من حضورهم ، حيث يلتفت اليهم فقط عندما تسأله « انتيجون » عما به ؟ وبسرعة ، ندرك أن « الحكيم » قد بدأ مسرحيته ، مثلما بدأ « سوفوكليس » ·· أى بعـد أن ألم الوباء أو الطـاعون بالمدينة·

ندرك ذلك من حوار « جوكاست » مع « أوديب » حيث تقول له أنه لا يملك لدفعه شيئا ، وأنه قد فعل كل ما استطاع ، فى نظرها طبعا ، فقد سـارع فى طلب « تريزياس » ليوحى اليـه ويطلعه على علوم الغيب ·

ولكن أزمة أوديب مرجعها أزمة طيبة التي وضعت أمرها بين يديه ومصيرها قد ارتبط بمصيره • ولكن « جوكاست » تعرف أنها ليست محنة طيبة وحدها ، فهي كأمرأة تحس من خلال غريزتها أن هناك علة أخرى تؤرق أوديب ، وتسبب انقباضه الذي تطالع أثره في عينيه •

ويمهد الحكيم ، أو يقدم لاحداث في الطريق ، وهو ما نسميه بلغة الدراما « التلميح التمهيدى Foreshadowing (١) » لاحداث في الطريق حيث يجعل أوديب يبين عما بداخله من أرق يشبهه بشر مستطير يتربص به • وبسرعة تحاول « جوكاست » أن تبعد عنه تلك الفكرة •• فكرة الشر أو القدر •

فتعلل سبب أزمته بما لم تكن توافق عليه من قبل • حيث تعود جوكاست لتقول أن انعكاس طيف آلام الناس على نفس أوديب الصافية هو الذى جعله مكتئبا •

وتدعو جوكاست أولادها لأن يلتفوا حول أبيهم ليسروا عنه ولكن « انتيجون » تسأل أبيها أن يقص عليها قصة الوحش الذى قتله • ويظن أوديب أن جوكاست هى التى أوحت لانتيجون أن تسأله مثل هذا السؤال • فترد جوكاست بأنها صفحة من حياته ، من حق أولادهما أن يلموا بها • وبناء على ذلك يروى أوديب قصته منذ البداية ، منذ أن كان فى قصر « بوليب » و « ميروب » فى « كورنث » حيث ربياه أحسن تربية ، الى أن علم ـ ذات مساء ـ من شيخ أطلق لسانه الخمر ، أنه ليس ابنا للملك والملكة ، وانما هو لقيط • فلم يهدأ له بال ، وخرج باحثا عن الحقيقة حتى انتهى به المطاف الى حيث أسوار طيبة مكان لقاء

---

(١) دكتور ابراهيم حمادة • معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية • دار الشعب ـ القاهرة (١٩٧١) •

الوحش المهول أو الأسد المجنح بأجنحة نسر ، فتطرح عليه السؤال وأجاب أوديب ، لتقهر اجابته ذلك الوحش ·

وتكمل جوكاست ·· فتصف حالة طيبة السيئة فى ذاك الوقت · من جراء الوحش المهلك · ثم تحكى عن زوجها « لايوس » الذى مات فى ذلك الوقت تاركا اياها فى عنفوان الشباب ، وفى زهرة العمر ، تعيش فى برودة القصر ·

وقد كان « كريون » هو الوصى على العرش · فلما لم يقو على دفع الوحش ، أعلن رغبته فى منح عرش طيبة ويد ملكتها الأيم لمنقذ المدينة من الوحش ·

ويذكر أوديب جوكاست بأن ما تقوله عن العرش واليد لم يكن يعلمه حين واجه اللغز فى فم أبى الهول · ويضيف انه ربما كان قد اضطرب فؤاده وارتجفت يداه ولم يظفر بالنصر ان هو علم وقتئذ بما أعلن عنه كريون من مقابل ·

ويختلف الحكيم هنا عن « اندريه جيد » الذى جعل أوديب يطالب منذ البداية بالتاج واليد حتى يلقى الوحش · وكذلك على سالم ···

كما يخالف الحكيم الاسطورة ومسرحية سوفوكليس حيث لم يتوجه أوديب عنده الى المعبد يستتشيره بعد أن عيره الشيخ فى مجلس الشراب باصله · بل ترك القصر وخرج باحثا عن الحقيقة بدون أن يفكر فى التعرف على رأى المعبد ·

وأخيرا ·· يسقط أوديب الحكيم حادثة مقابلة « لايوس » فى الطريق الى طيبة وما نتج عنها من مقتل لايوس وذلك أثناء رواية أوديب حكايته لأولاده ·

نعود لاستعراض المسرحية · حيث تلقى جوكاست أضواء على ما بعد مرحلة حل اللغز ، مرحلة استقبالها لذلك الذى فرض

عليها زوجا ، وهل ستحبه ؟ . ان جوكاست تبين لنا عن ما كان بداخلها آنذاك ، فهي لم يهمها من يكون الظافر بالوحش . ولكن ما يهمها هو من يكون الظافر بالقلب ؟ .. قلب المرأة لا قلب الملكة ، قلب المرأة الذى لم يكن يعرف الحب رغم زواجها المبكر من لايوس الذى كان يكبرها سنا . فلم تجد السعادة معه .

يضفى الحكيم على شخصية « جوكاست » ملامح جديدة تماما - تماما . انها فى نظره الانثى التى حل لغزها بمجرد أن رأت أوديب وأحبته .

ولعل اهتمام الحكيم بذلك التفسير أو التفصيل .. تفصيل الابانة الكاملة عن مشاعر جوكاست التى كانت كامنة .. تلك الابانة أيضا يستخدمها المؤلف كتقديمة أو فرشة لتصرفات جوكاست فيما بعد حيث يدفعها حبها الشديد لأوديب الى فتور رد فعلها تجاه الحقيقة التى ستطلع عليها فى نهاية المسرحية .

مرة أخرى ، نعود لأحداث المسرحية .. حيث نجد الحكيم يصور بطولة أوديب المبالغ فيها أمام الوحش .. تلك البطولة التى تسعد زوجته وأولاده فضلا عن اسعادها له .

ويعود الحكيم ليؤكد على مشكلة الواقع والحقيقة من خلال تصرفات أوديب نفسه الذى غمرته السعادة فى أحضان جوكاست فأنسته ما كان خرج أو بحث عنه ـ فالواقع أنسى أوديب الحقيقة وأقعده عنها وهذا ما جاء على لسانه :

أوديب : نعم ... هذه السعادة التى غمرتنى وأنستنى ما كنت خرجت له ، وما كنت أبحث عنه ..

والواقع أنسى جوكاست الحقيقة أيضا فأعماها عما يجرى حولها .. وهى تقول :

جوكاست : حقيقتك ؟ ... فماذا يهمنا من أمر هـــذه الحقيقة ؟ ما دمنا سعداء قلت لك كثيرا : اياك أن تظن انى كنت أوثرك من سلالة الملوك ... انه لفخر لى ولأطفالنا الا أن تكون من صفوة الأبطال (١) .

وتأتى المفارقة عميقة Dramatic Irony فجوكاست التى تريد السعادة كاملة نجدها تقص حكاية ستمحو سعادتها تماما . ونحن ندرك ذلك وان كانت هى لا تدرك ومن هنا تأتى المفارقة فهى تقول انه كان لها من لايوس ولد نبذه بعد أن أوحى اليه الاله من قبل أنه سيكون شؤما عليه . فأسلمه لمن يقتله على الجبل ، وهى تظن أن « لايوس » بهذا لم يقم بينها وبين أوديب بذلك ما ينغص عليه ما هو فيه معها من هناء .

وعلى ذكر كلمة « هناء » يرتعد أوديب ، ويسمع صوت أهل طيبة آتين من كل مكان :

ولعل هذا هو المشـــــهد الذى افتتح به « سوفوكليس » مسرحيته « أوديب ملكا » يؤخره الحكيم ، بعد أن ألقى ضوءا على معظم ما سبق رفع الستار عن مسرحيته من أحداث دارت على مدى سبع عشرة ســنة أو يزيد يجهلهـــا مشاهد المسرحيــة ابن القرن العشرين . ويتفق معى فى ذلك رأى الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجى اذ يقول (٢) :

« نقل الحكيم صورة مختصرة لما يحدثه الطاعون فى المدينة ، من مسرحية سوفوكليس ، واستخدم فى هذا التصوير المختصر نفس المعانى التى يصور بها سوفوكليس الطـــاعون ، وكما أن

---

(١) توفيق الحكيم . الملك أوديب . مكتبة الآداب ـ القاهرة .

(٢) أحمد شمس الدين الحجاجى ، الاسطورة فى المسرح المصرى المعاصر ـ الكتاب الأول . دار الثقافة للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٧٥ .

الحديث عن الطاعون يتحدث به الكاهن في مسرحية سوفوكليس فان الكاهن نفسه فى مسرحية الحكيم هو الذى يقوم بهذا التصوير وهو الذى يطالب أوديب بأن ينقذ المدينة من الطاعون كما أنقذها من أبى الهول ويتهم الكاهن أوديب ببحثه فيما لا ينبغى البحث فيه • ويسأل أسئلة لا يجب عليه طرحها • وأكثر من ذلك أنه لا يتورع عن الفحص والتنقيب في وحي السماء •

ويرد أوديب بأن هذه هي طبيعته التي فطر عليها والتى لا يستطيع التجرد منها • وهنا يخبره الكاهن بأنه قد التمس من كريون أن يمضى الى المعبد ليستشير الاله • ثم يلقى الكاهن ضوءا على شخصية كريون فهو لا يحاول فى الحقيقة ، ولا يبارى في الواقع • وينصرف الكاهن بعد أن يعاهده أوديب على انقاذ كل ما فيه انقاذ للمدينة •

تعبر جوكاست عن خوفها •• فيطمئنها أوديب بأن لا شيء جدير بالخوف منه الا خطرا يدنو منها أو من أولاده •• أما كل ما يتفوه به الكهان فهو هراء • ولكن جوكاست تحذره من الخوض في حديثه عن الكهان والآلهة •

ويعلو الضجيج • ويحضر ترزياس بناء على طلب أوديب • فتنصرف جوكاست وأولادها • وعندما يطمئن ترزياس أنه وحده مع أوديب يطلق لسانه •• فيخبر أوديب بأن الخطر قائم من حوله لا بسبب الطاعون فحسب ولكن بسبب ضيق الكهنة بعقلية أوديب وكراهيتهم لتفكيره وحبهم لكريون •• ويرى ترزياس أن الظروف تلائم الانقلاب ، فالمحنة تزلزل قوائم العرش • ويسأل أوديب ترزياس علاجا لهذه المحنة • ولكن ترزياس يعرض عنه فيثور أوديب في وجهه مثلما فعل فى مسرحية سوفوكليس • ولكنه هنا فى مسرحنا ، يعلم ترزياس أن قناعه فى يده • وبامكانه أن يمزقه ويكشف عن وجهه وقتما يشاء •

وأثنـاء ثورة أوديب يطلعنا الحـكيم على المؤامرة التى دبرها ترزياس واشترك فيها معه أوديب نفسه • تلك المؤامرة التى لم يعد أوديب يخاف من عواقب الكشف عنها •••

والمؤامرة هى كذبة من صنع ترزياس الذى أشاع أن أوديب بطل مع أنه فى الحقيقة ليس بطلا •• فهو كما يقـول ، لم يلق وحشا له جسم أسد وجناح نسر ووجه امرأة يطرح ألغازا • وانما ما لقيه هو أسد عادى كان يفترس المتخلفين خلف أسوار طيبة ، قتله بهراوته وألقى بجثته فى النهر •

وكذبة ترزياس أشاعها من تلقاء نفسه لينصب أوديب ملكا حيث لم يكن يرضى بكريون وقتئذ • فعلم أوديب حل اللغز ، كما أنه كان قد أوحى للايوس بفكرة قتل ابنه • موهما اياه بأن السماء هى التى ألهمته بذلك ليقصى عن العرش الوريث الشرعى رغبة منه فى أن يكون العرش لرجل غريب •• يالمفارقة •••

ويحاول ترزياس أن يخيف أوديب من الحقيقة ان هو فعل ما نوى عليه فيخبره أوديب أنه لم يخف من الحقيقة قط مهمـا كانت نتائج فعلته • ويقول : ان الملك ليس بغيته • فقد ترك كورنثه هربا من ذلك الملك من أجل البحث عن الحقيقـة حقيقة أصله •• فلم يكن يستطيع العيش فى أكذوبة ، ولكنه جـاء الى طيبة ليعيش فى أكذوبة أعظم وأكبر •

وبمقارنة موقف أوديب هنا بموقفه عند أندريه جيد ، نجد أن خروجه عند جيد كان دافعه عـدم الرغبة فى الحصـول على ما لا يستحق فقد كان يعلم أن ملكا ليس من حقه سيئول اليه بعد وفاة بوليب •

فالدافع الذى جعل أوديب يترك كورنثه عند كليهما مقبـول ومبرر • الا أن أوديب الحكيم وقع فى التناقض • فقد هرب من

كورنثه رفضا منه للحياة فى أكذوبة • ولكنه ، وبمحض ارادته وافق ترزياس على أكذوبة أخطر وأعظم •• وهى اشاعته لبطولة أوديب التى سبقت الاشارة اليها • فقد وقع الحكيم فى هذا التناقض فى رسمه لشخصية أوديب مما أضعف من شخصيته •

ويضطر أوديب الى الصمت حتى لا يفجع أولاده وزوجته ، وهو هنا حريص كل الحرص على حياته وكيان أسرته •

وعندما يطمئن ترزياس تماما لجبن أوديب وخوفه من مواجهة الحقيقة يعلن فى وجهه أنه لا يخاف مما سيقوله أوديب عنه للشعب فهو أيضا ـ ترزياس ـ سيعلن للشعب الحقيقة وهى انه لم يفعل كل ما سبق ذكره الا من أجل رأى يؤمن به هو : « أن تكون لهم ارادة • لقد أراد أن يطوى صفحة الملك ليجعلهم يختارون لهم ملكا من عرض الطريق » •

لقد صور الحكيم شخصية ترزياس على أنها شخصية متسلطة •• متحكمة ومحركة لكل الأمور وفقا لارادتها •• ولكنه عاد بعد ذلك فأنطقها هذا الحوار الذى سردته فى السطور القليلة الفائتة •• والذى يبرر به كل أفعاله تبريرا ممنطقا ومسببا فيحاول بذلك أن يخفف من مكره وشراسته •

وينصرف ترزياس الذى تدعوه جوكاست بالنبى •

ويدور حوار بين أوديب وجوكاست عما يحس به من ضيق فى صدره •

ويعود الحكيم للتأكيد على طبيعة علاقة أوديب بأنتيجون • فهى تستأثر باهتمام أوديب أكثر من غيرها فيسأل عنها باستمرار كما تنقل جوكاست لأوديب حب : انتيجون له وايمانها الشديد به • وينطق الحكيم جوكاست هذه العبارة : « ان مصيرك معلق

بها » وكأنه يلقى بذلك أضواء على المستقبل أو يتنبأ به ، أو يمهد لـه .

ويحضر كريون من المعبد وقد عقد على جبينه اكليـلا من الزهر . يحضر بصحبة كبير الكهنـة الذى يطلب من أوديب أن يستمع لكريون فى خلوة ولكن يرفض أوديب ويطلب منه الكلام أمام الشعب . تماما كما فعل أوديب سوفوكليس .. وبناء على طلب أوديب يخبره كريون ان « اثمـا يدنس طيبـة . لابد من محوه » .. « وان دما قد سفك ، ولا مفر من غسـل ذلك الدم بالدم » . ويعرف أوديب للمرة الأولى أن الدم المقصـود هو دم « لايوس » الملك المقتول . ويطلب كريون من أوديب أن يبحث عن القـاتل ، ويعد أوديب بذلك الذى يتفق وطبيعته المحبة للبحث فيبدأ بحثه على الفور فى شكل تحقيق مع كريون . الا أن مفارقة درامية تقع حيث نعلم ويعلم كريون والكاهن بحقيقة القاتل بينما يجهل ذلك أوديب . ويدور حوار طويل بين ثلاثتهم . يفهم أوديب منه خطأ أن القاتل هو ترزياس نفسه وتتجدد الفارقة الدراميـة المرة ، لا المفارقة التى توجد الضحك أو تبعث عليه . ويظل عنصر التشـويق Suspense الى تلك اللحظة التى تؤدى الى افصاح الكاهن بالحقيقة أمام رغبة أوديب الملحة والمتلاحقة .

ولا يستطيع أوديب أن يصدق مرارة الحقيقـة . فيواجهها بالاتهام أو اتهام الوحى . أو كما قال : « وحى كريون .. أو وحيكم يا رجال الدين » . ويعتبر أوديب الوحى مؤامرة أو شركا ويثور كريون فى وجه أوديب الذى اتهمه بالخيانة .

وفى نهاية الفصل الأول يخير أوديب كليهما بين الموت أو النفى وتصرف أوديب هذا ناتج عن تأكده التام من تآمر كريون والكاهن عليه ، وليسا على حق فيما جاءا به من وحى ، ولذلك فهو يستخدم كل ما تملك يداه من قوة وسـلطة للتغلب على الموقف

الحرج الذى وضعاه فيه • ومن الخطأ أن نتصور أن أوديب فى تلك اللحظة بالذات قد تنكر لما كان قد عزم عليه من عقاب شديد ينزله بالقاتل لأنه اكتشف أنه القــاتل • لا •• فأوديب ، كما سبق وأوضحنا ،متأكد من فكرة التآمر •• وهو حتى نهاية فصلنا الأول يستبعد تماما صحة فكرة كونه القاتل وأستطيع أن أؤكد ذلك من تصرف أوديب نفسه أمام ذلك الموقف الصعب• فهو لم يلح أو يطلب معرفة كيفية كونه القاتل ولعل ما وراء ذلك هو احساسه الأكيد ببراءته •

الفصل الثانى :

ويبدأ الفصل الثانى فى الساحة أمام القصر حيث يقف أوديب والكاهن وكريون وكأنهم ماثلون أمام قضـــاة هم جوقة الشـــعب المحتشدة • ويعلن أوديب فى الشعب عن الجريمـــة التى ارتكبها كريون والكاهن ضد شخصه وعرشه • ويقف الشعب فى صف أوديب فى البداية حيث نرى الجوقة تقول :

الجـوقة : « **الويل لكل من يمس شعرة منك أيها الملك !! نحن لن ننسى أبدا انك البطل الذى أنقذنا من « أبى الهول » ! • اضرب أعداءك يا أوديب « بلا رحمة » ونحن معك •• »** (١)

ويمضى الحوار بطيئا لا يدفع الحدث بسرعة الى أن تطلب الجوقة من كريون أن يخبرها بوحى دلف • فنعرف منه أن لايوس مات مقتولا بيد أوديب الا أن جوكاست تتدخل فى الموقف غير منحازة لأوديب أو كريون ، وتوضح أن الخطأ انما وقع فى فهم مرمى الوحى لا الوحى نفسه وتحاول أن تدلل على ذلك بنبوءة لايوس القديمة التى قالت انه سوف يموت بيد ابنه •• الا أن ابنه ذلك قد هلك كما نعلم •

وان كانت جوكاست بذلك تريد أن تبتعد عن الحقيقة الا أنها تقترب من تلك الحقيقة التائهة بين الجميع •

---

(١) توفيق الحكيم • الملك أوديب • مكتبة الآداب ـ القاهرة ـ ص ١١٣ •

حيث تمس كلمات جوكاست اذن وعقل أوديب الذى يبدو عليه الذعر حين يصل الى سمعه أن لايوس قد قتل عند ملتقى طرق ثلاث .

ويلح أوديب فى طلب المزيد من المعرفة من جوكاست . ويعرف أن لايوس قد قتل فى أرض يقال لها فوكيس . وذلك قبل جلوس أوديب على العرش بزمن قليل .

وتكتمل الصورة فى ذهن أوديب فيزداد ذعرا وقلقا ويطلب المزيد من المعرفة من جوكاست فيسأل عن الشكل والهيئة التى كان عليها لايوس المقتول . ويتأكد بذلك أوديب من الحقيقة وتتضح لعينيه وتستبين . الا أن أمل أوديب الوحيد يتعلق بالراعى الذى بقى حيا بعد مقتل لايوس . ويبعث أوديب فى طلبه فيحضر ليحدث الانكشاف Discovery على يديه . حيث يكتشف أوديب حقيقته المرة ويتأكد منها بدون أدنى شك . فلا يهرب منها أو يتهرب وانما يعطى كل ذى حق حقه .

أوديب : « **صدقت يا كريون ! .. وصدق الوحى الذى جئت به من معبد دلف ! .. ألتمس منك المغفرة ومن كبير الكهنة ، فقد أثمت بسوء ظنى فيكما ، وبتوجيهى اليكما ذلك الاتهام الباطل ! .. قاتل لايوس بين أيديكم ! ..** »

أيها الناس لن أحاول دفاعا عنه ، فأحكموا فيه بما ترون وأنزلوا به ما يستحق من عقاب » (١) .

وتحاول جوكاست الدفاع عنه الا أنه يرفض دفاعها ذلك . وبينما أوديب كذلك ، اذا برسول من كورنثه يجىء برسالة اليه .. أو بخبر يظنه سارا . وان كان فى حقيقته ملىء بالقسوة ..

---

(١) المسرحية ص ١٣٤ .

مؤلم حيث يعلم أوديب من الرسول ان طيبة هي مسقط رأسه وبناء عليه يتعرف أوديب على السر الذى يتوق الى معرفته ·

يتعرف أوديب على حقيقته ، أو حقيقة أنه ابن زوجته « جوكاست » و « لايوس » الذى قتله فى الطريق ··

ولا تستطيع جوكاست الصمود أمام موقف صعب جدا لم تعتده فتهم مندفعة نحو القصر ، الا أن أوديب يمنعها حتى تستمع لكلمات الراعى جميعها ·· وما أن تستمع اليه حتى تسقط على الأرض فاقدة الوعى ، فيلتف الشعب من حول جسدها · ويطلب أوديب ادخالها القصر · لينتهى الفصل الثانى بتجنيبه أو a side من تريزياس للقارىء أو المشاهد يبين فيها عن حقيقة شعوره تجاه ما يحدث · حيث يؤكد تريزياس بذلك تغيير المؤلف توفيق الحكيم من حقيقة أو أصل النبوءة التى عرفناها والتى تقول بأن أوديب طفل لايوس سيكبر ويقتله ويتزوج من أمه بعد أن يعتلى عرشه ، غيرها الحكيم من نبوءة اله أو معبد الى أكذوبة نسجها عراف هو ترزياس بعينه الذى أوحى الى لايوس بالتخلص من ابنه صغيرا حتى لا يتخلص منه كبيرا ويتم له ذلك وتتحقق أمنية ترسياس فى أن ينفى من طيبة وريث عرشها الشرعى ليكون العرش من نصيب آخر · هكذا تحققت الرغبة التريسياسية فقد أقصى الولد عن طيبة ولكنه لم يهلك وما لبث أن عاد اليها ·· وقد نصب ترسياس غريبا على العرش ولكن الغريب هو الوريث الشرعى للعرش ·

يقول ترسياس فى نهاية الفصل الثانى فى حديث جانبى للجمهور أو فى « a side »

« اذهب بى أيها الظلام بعيدا عن هذا المكان ! ·· فقد راق للمساء أن تتخذه ملعبا ! ·· نعم ! ·· ان الاله يلهو وينشىء فتنا ·· ويصنع قصة ·· قصة على أساس فكرتى ·· هى بالنسبة

الى « أوديب » •• و « جوكاست » •• مأساة •• وبالنسبة الى أنا ملهاه ! •• عليكما اذن يا صاحبى هذا القصر ان تذرفا العبرات •• وعلى أنا أن أرسل الضحكات (يضحك كالمجنون) (١)

ويبدأ الفصل الثالث والأخير الذى ابتناه المؤلف توفيق الحكيم من منظرين •• فنراه يصف المنظر الأول بأنه يدور داخل القصر « حيث جوكاست فى حجرتها ملقاة على الفراش •• ومن حولها أوديب وأولادها ••

يطلب منهم أوديب أن يبتعدوا عنها قليلا •• وتحرك جوكاست أهدابها وتفزع لبقائها حية • ويطلب أوديب من أنتيجون أن تنصرف واخوتها •• وتستنكر جوكاست وضعها الجديد ، وتطلب الموت أفضل • الا أن أوديب يعبر لها عن حرصه التام على حياتها • وتخبره جوكاست أن لا فائدة فى البقاء فأعداءهما ليسوا على الأرض أو فى السماء • وانما عدوهما هو تلك الحقيقة المؤلمة التى أصر أوديب أن يكشف عنها كاملة غير منقوصة ، ويطيل توفيق الحكيم فى هذا الموقف الذى يجمع بين أوديب وجوكاست ذلك الذى لم يفعله أحد قبله ممن تعرضنا لأعمالهم •• يطيل فيه على غير ما تعودنا من أجل الكشف والتأكيد على الصراع الأساسى فى مسرحيته •• صراع الحقيقة والواقع فبعد أن اكتشفا الحقيقة كاملة • ها نحن نراهما حريصين على الواقع • أو بمعنى أدق نرى أوديب هو الحريص على ذلك الواقع بكل ما فيه • وان كانت جوكاست تريد الهرب منه بالموت •

وعندما يطلب أوديب من جوكاست أن تواجه الواقع فهى تقول :

جوكاست : أى واقع نستطيع أن نواجه بعد اليوم ؟! •

ويجيب أوديب عن سؤالها ، أو تساؤلها قائلا :

---

(١) المسرحيه ص ١٥٦ •

أوديب : كياننا الواحد ·· أسرتنا المتحدة ·· قلوبنا المتحابة ··
نفوسنا التى تعمرها المودة وتدعمها الرحمة ! ·· من فى مقدوره أن يهدم كل هذا البنيان ؟! ·· وأى قوة فى امكانها أن تدك هذا البرج المشيد من حب · وعطف ·· وحنان ! (١) ·

يطلب ويلح أوديب عليها أن تنهض وتواجه الحياة قائلا : « ثقى أنه مادامت لنا قلوب فنحن صالحون للبقاء !! ·· » فترد جوكاست : لم نعد نصلح للبقاء معا ··

ان أوديب هنا يصارع الحقيقة صراع دون كيشوت لطواحين الهواء ــ ويقول :

« الحقيقة !؟ ·· ما هى قوة هذه الحقيقة !؟ ·· لو أنها كانت أسدا ضاريا حاد المخلب والناب ؟ لقتلته وألقيت به بعيـــدا عن طريقنا ·· ولكنها شىء لا يوجد الا فى أذهاننا ·· انها وهم ! ·· انها شبح ·· ان ضربتى لا تنفذ فى أحشائها ·· ويدى لا تنال من كيانها ·· وحش مجنح حقا ! ·· رابض فى الهواء ·· لا نصل اليه بسلاحنا ويقتل سعادتنا بألغازه ! ·· » (٢)

ولمـا يطول هـذا الموقف من المؤلف ولا يثمـر حب كل من أوديب وجوكاست عن شىء فهو (أقصد المؤلف) يلجأ لحيلة معروفة فى تكنيكه أو تقنيته حيث يبين لنا تعب جوكاست وارهاقها ممـا يتطلب انهاء الجدل ليتقدم الحـــدث للأمام بعض الشىء ، ولا يريد أوديب أن يتركها وحدها · ولكنه يؤثر أن يطلب من أولادهما أن يجلسوا معها ليعتنوا بها ويسروا عنها ··

ويخرج أوديب · وتأخذ جوكاست فى القاء نظرة الوداع على كل ما حولها ومن حولها · وتوصى أنتيجون بأبيها خيرا اذا ما صار

---

(١) المسرحية ص ١٦١ ·
(٢) المسرحية ص ١٦٦ ·

وحيدا ·· وتلح وتؤكد على وصيتها لانتيجـــون · لينتهى المنظر الأول من الفصـــل الثالث ويرتفع الســـتار عن المنظر الأخير فى المسرحية فى الساحة ·· أمام القصر ·· والجوقة تحتشد كما كانت فى الفصل الثانى ولكن يقف بينها كل من كريون والكاهن · حيث ترثى الجوقة ذلك المصير الذى آل اليه أوديب وجوكاست وتفكر فيما عساهما فاعلان الآن ! · وما عساهما سيفعلان بعد اليوم ·

ولا تجرؤ الجوقة الممثلة لشـــعب طيبة على اسـتصدار قرار بصدد أوديب ولا يرضى ذلك ترزياس المسبب الأول لتلك المشكلة فيتهم الشعب فى تفكيره بالجمود وتخبرنا الجوقة بقدوم أوديب الذى يظن أن حكما قد استصدرته الجوقة فى شأنه · لكن الكاهن يخبره بأن الشعب لم يستصدر شيئا · ويطلب منه ألا يتراجع فيما وعد به من عقاب لقاتل لايوس · فيخبره أوديب أنه لن يتراجع ·· بل يطلب منه أن يذكره بنوع العقاب الذى وعد به القاتل · فيعلم أنه الموت أو النفى ·

ويعلن أوديب جبنه عن مواجهة الموت والسبب فى ذلك هو حبه لأسرته · ويطلب من الكاهن أن يكون النفى من نصيبه فيرحل مع أسرته عن طيبة ·· ويأبى كريون رحيـــل أوديب وأسرته · فيعتبر ذلك اطالة فى تعذيبه واذلاله ·· ويحضر ترسياس وبدلا من أن يطلب أوديب منه النصح نجده يلومه أشد اللوم ·· ويعنفه على فعلته المجرمة التى أوصلته لذلك المصـــير الراهن فيقـول أوديب مخاطبا ترزياس :

« أنت الأعمى الذى ظن أنه يبصر للنـاس خيرا مما تبصر لهم السماء ! ·· أنت الذى أردت فكانت ارادتك وبالا على الأبرياء ·· لو أنك تركت الأمور تجرى كما قدر لها أن تجرى طبقا لنواميسها المرسومة ·· لما كنت أنا اليوم مجرما ! ··

أردت أن تتحدى ارادة السماء فأبعدت أوديب صغيرا عن الملك ووضعت على العرش رجلا من صنعك ·· فاذا بهـــذا الرجل الذى

وضعت ، هو عين أوديب الذى أبعـــدت •• لطالما زهوت بارادتك الحرة ! •• نعم •• كانت لك حقـا •• ارادة حرة •• شـــهدت آثارها •• ولكنها كانت تتحرك دائما دون أن تعلم أو تشعر ، داخل اطار من ارادة السماء • (١) •

ويقابل ترسياس كل ذلك بالسخرية والتهكم الشديدين ثم ينصرف • لتدوى صيحة آتية من داخل القصر • وتنطلق انتيجون من بابه لتطلب من أوديب أن يسرع الى جوكاست •

ويتجهوا جميعهم الى الداخل الا أوديب الذى تطلب منه الجوقة أن ينتظر معها •• وبينما هم كذلك اذا بخادم يخرج من القصر وفى عينيه آيات الهلع • يقف ويعـــلن •• يعلن موت جوكاســت •• ويصف ما حدث بالتفصيل ويضيف أن أوديب ما أن رأى ذلك حتى انتزع مشابك ثوب جوكاست الذهبية •• وذفعها دفعا عنيفا متصلا الى عينيه صائحا : « **لن أبكيك الا بدموع من دم** » (٢) •

ويؤكد أوديب بظهـــوره على المسرح خارجا من القصر ليعلن لشعبه عن عزمه فى الابتعاد كل الابتعاد عن أسوار طيبة محـــددا بذلك مسار مصيره • ويخرج كريون من القصر فيوصـــيه أوديب خيرا بأبنائه الذين سيتركهم له يعتنى بهم •• بعد رحيله ــ يوصيه أكثر بانتيجون التى كانت أكثر التصاقا به من جميعهم •• ويطلب منه طلبه الأخير وهو اجراء الطقـــوس الجنائزية التى تليق بدفن جوكاست تلك المسجاة فى حجرتهـا ولكن يطمع أوديب فى طلب آخر قبل أن يرحل وهو لمس وجـوه أولاده البريئة بأصـابعه •• ويحضروا •• فتهبه انتيجون عينيها محـــاولة بذلك أن تبصر له الأشياء لكنه يرفض فى البداية ليوافق فى النهاية بعد أن تعبر له انتيجون عن ايمانها التام به وببطولته اذ تقول :

---

(١) المسرحية ص ١٨١ •
(٢) المسرحية ص ١٠١ •

« أبتاه . انك لم تكن قط بطلا .. مثلما أنت اليوم ! .. »

ويسدل الستار على المنظر الأخير من المسرحية بعد أن يوصى أوديب أولاده بكريون الذى سيرعاهم ويطلب منهم أن يتخذوه مثلا وقدوة .

الحكيم والأسطورة :

لا يؤمن الحكيم ، كمسلم ، بتدبير سابق من جانب الاله .. وهو لذلك ينفى تماما النبوءة التى أوصى بها الاله أبوللو حيث كان خدرا فى الاسطورة وفى مسرحية سوفوكليس من ذلك الولد الذى سيرزق به لايوس من صلبه فيشـــب ويقتل أباه ويتزوج من أمه ويرث العرش بعده ..

ولذلك فقد جعل الحكيم ترزياس هو الذى يوصى ، قبل أحداث المسرحية ، الملك لايوس بقتل أوديب ابنه موهما اياه بأن السماء هى التى ألهمته ذلك أو أوحت اليه به ، لأن الولد اذا شب فكبر فسـيقتل أباه ويتزوج من أمه ــ وينفـــذ لايـوس ارادة ترزياس لا ارادة الآلهة أو وحيهم بأن يقصى عن عرش طيبة وريثه الشرعى ثم يجلب اليه آخر ، بعد مقتل لايوس ، ظنا منـــه أنه غريب عن العرش والبلد اختـــاره بمحض ارادته فأودعه سر الوحش ليهلكه وقد كان له ذلك وآل اليه العرش ويد الملكة .

هكذا غير توفيق الحكيم فى النبوءة لتخدم غرضه ومسرحيته ويرى الدكتور محمد مندور فى كتابه مسرح توفيق الحكيم .

فى ذلك الفصل الذى خصصه لنقـــد مسرحية أوديب الملك لتوفيق الحكيم والذى يحمل عنوان « الحقيقة والوهم » ما يرى المؤلف نفس الرأى الذى توصلت اليه فى نفس السطور القليلة الفائتة حيث يقول :

« أما عن تعاليم الاسلام فقد رأى توفيق الحكيم كمسلم أنه لا يستطيع أن ينسب الى الاله ارادة شريرة ماكرة • كالارادة الظالمة التى ألزمت أوديب قضـــاءه المنحـــوس ، ولذلك نراه يفسر فى مسرحيته بمهارة فائقة ما زعمه سوفوكليس من أن ما تردى فيـه أوديب من اثم انما كان تنفيذا لحكم القضاء والقدر ، فزعم توفيق أن الذى دبر هذه المأساة انما كان كاهنا أعمى يسمى ترزياس نقم على لايوس ملك طيبة وأسرته وأراد أن يعمل لكى ينتقل الملك الى غـير هـذه الأسرة فأوهم لايوس بأن العرافة قد تنبـأت بأن ابنه سيقتله ويتزوج من أمه ويعتلى العرش •

وذلك حتى يحرم لايوس نفسه من ولى العهـــد ، كما أن ترسياس هو الذى أوحى للراعى بألا يلقى بالطفل الى التهلكة فى الجبل ، وهو فى النهاية الذى ظـل يتابع خطـــوات أوديب ويدبر المكائد فيزعم مثلا أن الحيوان الذى قتله أوديب لم يكن أبا الهول بل كان فى الحقيقة أسدا عاديا استطاع أوديب أن يصرعه ، وقد اتخذ ترزياس هذه الأكذوبة وسيلة يمهد بها لتولى أوديب العرش مكافأة له من شعب طيبة على بطولته • واذن فالاله ليس شريرا ولا يمكن أن يدبر كل هـــذا الشر لأوديب والشر لا ينبـــع الا من البشر وما يصيبهم من هذا الشر فهو من أنفسهم » (١) •

الصراع الدرامى : Dramatic conflict

ان الصراع فى مسرحية توفيق الحكيم قائم على مستويين •• صراع فى داخل أوديب Inner conflict حيث يصطرع داخليا من أجل معرفة الحقيقة ، تلك التى لا ينبغى له أن يعرفها • والمســـتوى الآخر من الصراع يتجسد فى قوتين : الحقيقة فى مقابل « الواقع »

(١) د• محمد مندور • مسرح توفيق الحكيم • دار نهضة مصر ــ القاهرة ص ٧١ ط ٢

·· حيث يرفض « الواقع » الاذعان « للحقيقة » رغم وضوحها وحدتها وصرامتها · ثم يضطر بعد ذلك للخضوع ·

الشخصيات : Characters

شخصية اوديب :

فى رسم الحكيم لشخصية أوديب شيء من التناقض ، والتشويه لتلك الشخصية ·· فالتناقض ناتج ــ كما سبق أن أوضحنا فى عرضنا وتحليلنا لفصول المسرحية ــ من أن أوديب قد خرج أو غادر كورنثه رفضا منه للحياة فى أكذوبة ·· ولكنه ، وبمحض ارادته ، قد وافق ترزياس على أكذوبة أكبر وأخطر وأعظم ، هى اشاعته لبطولة أوديب التى أشرت اليها بالتفصيل من قبل · فقد وقع الحكيم فى هذا التناقض الذى أضعف الشخصية ·

أضف الى ذلك موقف أوديب فى نهاية المسرحية ·· وهو الموقف المخالف تماما له فى بداية المسرحية ، حيث نجده فى النهاية يرفض الحقيقة ، ويأبى الا أن يعيش فى أكذوبة الواقع ، بل ويحاول اقناع وارغام جوكاست على ذلك رغم رفضها ·

قلت : انه فى رسم الحكيم لشخصية أوديب شيء من التناقض، والتشويه · وقد أوضحت ما أعنيه بالتناقض ، يبقى الآن المقصود بالتشويه ·

لقد جعل « أوديب » مزيفا وحليفا لمتآمر هو « ترزياس » ·· مزيف لأنه غير من وصفه لحقيقة الوحش الذى صادفه ، فجعل منه وحشا أسطوريا ، بينما ما قابله فى الحقيقة ، هو حيوان عادى ·· تآمر مع ترزياس على القضاء عليه ، واشاعة الأساطير والبطولات حوله ·

وبذلك يكون الحكيم قد قضى على ما جاء بالأسطورة ، وبمسرحية سوفوكليس من حقيقة أبي الهول ، ومن أنه حيوان له جسم أسد ، وأجنحة نسر ، وذيل حية ، ويلقى الغازا على المارة ليفترس منهم من لا يجيب عليها ·

وعن التناقض فى شخصية أوديب يقول الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجي « لقد أفلتت هذه الشخصية من يد الحكيم ، فلم يستطع أن يزيل التناقض الذى أوقعها فيه · هذا التناقض أبعد الشخصية عن أن تكون شخصية تراجيدية ، واختلط أمرها دون أن يكون لديها وضوح يذكر » (١) ·

★★★

شخصية جوكاست :

شخصية جوكاست هى الشخصية الضدية الستارية foil Character التى تبرز شخصية أوديب وتوضحها ·

ان جوكاست لم تكن تحب لايوس ·· ذلك الشخص أو الشخصية الغائبة عن المسرح « Off-Stage Character » والذى مات قبل رفع الستار بأكثر من سبع عشرة سنة تاركا اياها فى عنفوان شبابها وزهرة عمرها تعيش فى قصر بلا زوج ·

لقد أبانت (أظهرت) لنا جوكاست ـ كما سبق وأوضحنا فى عرضنا للمسرحية ـ عما كان بداخلها من مشاعر تجاه ذلك الذى كتب له أن يعتلى العرش ويتزوجها بعد حله للغز الوحش : لقد تساءلت قبل أن تراه ·· هل ستحبه ؟ ·

---

(١) د· أحمد شمس الدين الحجاجي ـ الاسطورة فى المسرح المصرى المعاصر ·

لم يكن ما يهمها من الفائز بالعرش ؟ ٠٠ وانما الذى يهمها من هو الفائز بالقلب ؟!! وقلب المرأة ٠٠ لا قلب الملكة ٠٠ قلب المرأة الذى لم يكن يعرف الحب رغم زواجها المبكر من لايوس ، الذى كان يكبرها سنا ٠٠ فلم تجد سعادة معه ٠٠ وقد أخذت تبحث عنها بعد أن مات ٠

من كل ما سبق ، يتضح لنا سبب حب قوى يربط مدة سبع عشرة سنة بين قلبى جوكاست وأوديب ٠٠ ذلك الحب الذى دفع أوديب الى رفض الحقيقة ، فى نهاية المسرحية رفضا تاما ، وحرضه على الارتماء فى أحضان الواقع والاستمرار فيه مع جوكاست رغم معرفته أنها أمه ٠٠ لقد كان الحب قويا ٠٠ أقوى من أى شىء سواه ٠

شخصية تريزياس :

شخصية تريزياس هى الشخصية التالية لشخصية جوكاست فى الأهمية فى مسرحية توفيق الحكيم ٠ وهى الشخصية التى غير الحكيم كثيرا فى تصوير ملامحها لتبدو مغايرة للاسطورة ولشخصية تريزياس ــ سوفوكليس ٠ ولعل ذلك مرجعه الأساسى رغبة الحكيم فى الاطاحة بفكرة النبوءة أو الوحى الصادر عن الآلهة والذى يتعارض وفلسفته ٠

فتريزياس ، فى مسرحية الحكيم ، ليس ذلك الذى يصفه الدكتور ابراهيم حمادة فى مقال له بعنوان : « كوميديا أوديب فانتازية هادفة » حيث يقول :

« يصدق هذا على ما ورد فى الأساطير اليونانية من ان الالهة هيرا أعمته ، بينما كافأه الاله زيوس ومنحه عمرا مديدا مكنه من أن يعاصر الجيل السابع » (١) ٠

---

(١) دكتور ابراهيم حمادة كوميديا أوديب فانتازية هادفة ٠ جريدة المساء عدد ٢٨ فبراير سنة ١٩٧٠ ٠

ليس هو تريزياس الذى منحه زويوس القدرة على الاطلاع على المجهول ، وانما هو تريزياس من نوع جديد ٠٠ كاذب ٠٠ ومحتال، وقد كذب على لايوس حين أوحى اليه بفكرة قتل ابنه ــ كما سبق وذكرنا فى عرضنا للمسرحية ــ موهما اياه أن السماء هى التى ألهمته ذلك ٠ وذلك ليقصى عن العرش وريثه الشرعى رغبة منه فى أن يئول العرش لرجل غريب ٠

ولو عدنا قليلا لمسرحية أندرية جيد ، ونظرنا بعض الوقت لشخصية أوديب عنده ، لأحسسنا بتشابه كبير ، لا بين أوديب وأوديب ، ولكن لأدركنا شبها كبيرا وتشابهها الى حد كبير بين « أوديب ــ أندريه جيد » وتريزياس ــ توفيق الحكيم ، فكلاهما تسيطر عليه ، الى درجة كبيرة ، فكرة تأليه الانسان وارادته وقدرته ، وان كان يبدو لنا أن توفيق الحكيم قد ألحت عليه شخصية بجماليون ٠٠ الفنان المبدع ، وهو يرسم شخصية تريزياس ، فلم يدعها تمر بسلام ، بل أصر على الاستفادة منها فى اضفاء رتوش وملامح على تلك الشخصية ٠ فنجد أن تريزياس بدلا من أن يخلق تمثالا جميلا وينفخ فيه الروح ، فهو يغير مجريات الأمور بما له من ٠٠ سعة حيلة ٠٠ ودهاء ، فيقصى عن العرش وريثه الشرعى بكذبة أطلق عليها لفظة « الوحى » وان كانت أبعد ما تكون عنه ٠

شخصية كريون :

رسم الحكيم شخصية كريون بحيث نصطدم معها ــ فى البداية ــ ظانين أنها شخصية شريرة متآمرة ، ثم كشف فى النهاية عن حقيقة جوهرها ، أو حقيقتها الداخلية ، فجعلنا نتعاطف معها كل التعاطف ٠

ولو كنا تركنا مسألة التعاطف أو عدمه ، لأدركنا أن كريون ــ توفيق الحكيم هو عين كريون ــ سوفوكليس ٠ فقد منح كريون

العرش لمن يستحقه ، أو لمن استطاع أن ينقذ طيبة من الوحش • فهو حريص ، منذ البداية ، على مصلحة طيبة • وهو ، هنا ، الذى أرسله الشعب للمعبد ، وليس أوديب كما فعـــل سوفوكليس • وعاد كريون بما سمعه هناك كاملا فأعلنه ، وحـــدث ما رأينا من صدام بينه وبين أوديب ، وأدى الى اتهام أوديب له بالخيانة ، الا أنه ـ فى النهاية ـ استطاع أن يثبت براءته ، ويسترد ثقة أوديب به وعطفه عليه بل عطف كريون نفسه على أوديب • عندما طلب منه الأخير أن يعتنى بأولاده ، وطلب من أولاده أن يتخذوه مثلا وقدوة • « ان كريون يفضل الملك فى الظل » (١) •

« واختزل الحكيم الصورة التى رسمها لكريون على أنه الرجل الثانى فى عبارة أوردها حين اتهمه أوديب أنه على رأس الطامعين فى العرش وأن الكهان غرروا به وكان كريون يرد عليه بما ينبىء أنه نظرا للعلاقة التى بينهما ، لا يمكن أن يؤذيه ويؤذى جوكاستا ، فان السلطان كان فى يده قبل أن يقدم أوديب فنزل عنه طائعا طبقـا لمنفعة الشعب وطاعته لنصيحة أهل القداسة والالهام » (٢) •

★★★

حول نهاية المسرحية :

أما نهاية المسرحية ، فقد غير الحكيم فيها تغييرا كبيرا • فخصص لها الفصل الثالث بمنظريه كاملين ، وهو بدلا من أن يحتفظ للمأساة بحرارتها ودفئها كما فعل سوفوكليس ، واندريه جيد الى حد ما • فقد ميع الحكيم النهاية بحـــواره الطويل الذى أنطقه لجوكاســت

(١) أحمد شمس الدين الحجاجى • الاســـطورة فى المسرح المصرى المعاصر ص ١٤٧ •

(٢) أحمد شمس الدين الحجاجى • الاســـطورة فى المسرح المصرى المعاصر ص ١٤٩ •

وأوديب من أجل اثبات ، أو خدمة ذلك الصراع الذى بنى عليه مسرحيته ·· صراع الحقيقة والواقع ·· الواقع الذى اتضح ·· اتضح أن أوديب يعاشر أمه لا زوجته · أو أما قبل أن تكون الزوجة أو المعشوقة والمحبوبة ·

فيدعوها الى الاستمرار فى رفض الحقيقة بوضع الأصابع فى الآذان ، وعدم الاذعان الا لسطان الحب وحده ·

ومع كل ذلك ، لم يستطع الحكيم أن ينهى مسرحيته عند تلك اللحظة ·· بل وقع أسيرا لسلطة أو سطوة أو سحر الاسطورة ، وجمال مسرحية سوفوكليس ·· فلم يستطع الفرار · وجعل نهايته تأتى تقليدية بعد أن ميعها · لتحسب تلك النهاية مع نقاط ضعف المسرحية ، أو سلبياتها ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البــاب الثانى

مأساة أوديب عام ١٩٤٩
لعلى أحمد باكثير

« ويح اوديب .. لطالما سعى مفتوح العينين
وهو نائم ، فلما استيقظ اغمض عينيه ؟ .. »

– ترزياس –

فى نهاية المشهد الأول من الفصل الأول

مقدمة عن المؤلف :

على أحمد باكثير من جيل الرواد فى الكتابة لمسرحنا المصرى وللمسرح العربى ، وقد ولد فى أندونيســـيا عام ١٩١٠ وهو من أصل حضرمى (من حضرموت) بعد ثمانى سنوات من الميلاد ترك اندونيسيا الى حضرموت حيث تلقى دراسته وتعليمه الذى كان فى معظمه دينيا ، ولعل هذا ما انعكس بوضوح على معظم أعمـــاله المسرحية ولا سيما مسرحيتنا « مأساة أوديب » موضوع دراستنا ٠

زار مصر فى عام ١٩٢٤ وأقام فيها حيث درس اللغة الانجليزية وآدابها ، تنقسم مسرحيات باكثير الى أربعة أقسام هى : المسرحيات ذات الأصل التـاريخى ، المسرحيات ذات الخلفيـــة السياسية ، المسرحيات ذات الاطار الأسطورى ، وأخيرا المسرحيات الاجتماعية الخفيفة ٠

★ فى النوع الأول كتب مسرحيات :

١ ـ اخناتون ونفرتيتى

٢ ـ عمر وخالد

٣ ـ ملحمة عمر بن الخطاب

٤ ـ سر شهرزاد

٥ ـ مضحك الخليفة

٦ ـ سر الحاكم بأمر الله

★ وفى النوع الثانى كتب مسرحيات :

١ ـ شيلوك الجديد
٢ ـ امبراطورية فى المزاد
٣ ـ اله اسرائيل
٤ ـ أورشليم الجديد
٥ ـ مسمار جحا

★ وفى الموضوعات ذات الأصل الأسطورى كتب :

١ ـ فاوست الجديد
٢ ـ مأساة أوديب
٣ ـ الفلاح الفصيح
٤ ـ الفرعون الموعود
٥ ـ أوزوريس

★ وفى الموضوعات الاجتماعية كتب :

١ ـ جلفدان هانم
٢ ـ حبل الغسيل
٣ ـ قطط وفئران

فضلا عن :

٤ ـ أوبرا قصر الهودج
٥ ـ وأوبريت شادية الاسلام ٠

مأساة أوديب عام ١٩٤٩
لعلى أحمد باكثير

عرض للمسرحية ، وتحليلها ، وبنائها

الفصل الأول :

أعود قليلا الى ما قبل الفصل الأول حيث يفتتح « باكثير » مسرحيته بعبارة من القرآن الكريم تقول :

« ولا تتبعوا خطوات الشـــيطان انه لكم عدو مبين ٠ انما يأمركم بالســـوء والفحشاء وان تقـــولوا على الله ما لا تعلمون »

وقد وفق باكثير كثيرا فى هذا الاســـتشهاد من القرآن الذى يلقى ظلالا على أحداث المسرحية ٠ وسندلل على حكمنا فى الموضع المناسب من تحليلنا للنص حتى لا نسبق الأحداث ٠

يبدأ الفصل الأول فى بهـــو القصر الفخم ويشغل صـــدر المسرح كرسى طويل وكراس أخرى الى جانبـــه ٠ حيث يجـلس كريون وجوكاســـت يتحدثان فيبينـــان عن الجـــو العـــام أو الـــ Atmosphere » الذى تدور فيه الأحداث ٠ فكريون يسأل

جوكاست عما اذا كانت قد كلمت أوديب البارحة أم لا ؟ ٠٠ وهي ترد بأنها كلمته كثيرا ٠٠ صباحا ومساء ٠ ولكنها لم تلمس منه اقتناعا ٠٠ ويعود كريون ليشـــير الى المجاعة والوباء المنتشرين ٠ والشكوى المرتفعة الملحة فى أن يرسل أوديب فى استفتاء المعبد ٠ ولكنه يبدو أن أوديب غير مقتنع بذلك ومن هنا يأتى الخلاف بين جوكاست وكريون من جانب وبين الملك من جانب آخر ٠ ولا يريد باكثير أن يظهر أوديب سلبيا فى مواجهة الموقف بل يصوره غارقا فيه بفكره وسهره والابتعاد عن الطعام والشراب ٠ وينقل الينـــا باكثير رغبة أوديب فى مصادرة أموال المعبد وما يمكن أن يتعرض له من خطر من لدى الكاهن الأكبر بتجرئه على ذلك ٠

ان أوديب يستهين بكل شيء فى سبيل مصلحة شعب طيبة ٠ وان كان شعب طيبة قد يسيء فهم ذلك نتيجة لصمت أوديب عن اجابته لمطلبه ٠

وسبب اهمال أوديب مطلب شعبه يرجع الى ايمان الشـعب الشديد بالمعبد بينما أوديب ضد ذلك المعبد الذى منه تنبعث نكبة الشعب وبؤسه ويوضح باكثير من البداية معالم شخصية جوكاست التى لا يسيطر عليها الا الخوف والحذر ٠

جوكاست المرأة التى تحمل بداخلها كل ما تحمله امرأة من حرص على كتمان سر والبقاء عليه وصونه دون افشاء مهما كلفها ذلك من مال أو عرضها لخطر ٠

ويخطيء باكثير فيبين منذ اللحظات الأولى عن نقطة ضـعف أوديب ، أو سقطته ، وصراحة يذكرها على لسان جوكاست التى تقول له « انك يا حبيبى أشجع ما ينبغى لك ، والشجاعة عمياء » ٠

فأوديب فى رأى باكثير ، أشجع مما ينبغى ، وهذه الشجاعة تنعكس فى تصرفاته التى ستؤدى به الى نهايته ، وان كان باكثير

قد رسم شخصية أوديب على أنها شخصية تراجيدية تسبب غلطة أو خطأ مأساويا بداخلها « Tragic Flaw or Hamartia » في مصيرها المأسوى الا أننا سنرى أنه ـ رغم ذلك لم ينجح في جعلها شخصية تراجيدية بأى حال من الأحوال • لقد ظهرت في صورة أقرب الى البطل الشعبى الذى يختار المخاطر والصعاب ، ويتغلب عليها ، ولم يقترب ـ على الاطلاق ـ من صورة بطل مأسوى أو بطل تراجيدى بمفهوم أرسطو •

لا أريد أن أستغرق الكثير في تلك النقطة ، رغم أهميتها ، في الحكم على الشخصية ، وعلى المسرحية بعـــدها ، بل أعود الى الأحداث لأسايرها أو أسير معها • ان جوكاست تطلعنا على السر الخطير ، الذى سبق أن قلت أنها كامرأة تحب أن تعيش على كتمانه بداخلها •• والسر هذا خطير ، وجوكاست خائفة أن يهتكه الكاهن الأكبر اذا ما علم باعتزام أوديب على مصادرة أموال المعبد والسر الذى تخاف منه جوكاست الآن • هو كون أوديب قاتل لايوس • وعلم جوكاست بهذه الحقيقة أو بهذا السر مغاير تماما لأسطورة أوديب ولمسرحية سوفوكليس ، وللمعالجات الكثيرة الأخرى • ان هذا العلم من جانب شخصية جوكاســت ، ومن قبلها شـــخصية أوديب ، ستجعلهما مسئولين تمام المسئولية وكاملها عن فعلهما واثمهما • كيف تتزوج من قاتل زوجها وهى تعلم بذلك ؟

ان ذلك يعنى مخالفـــة الاسطورة مخالفـــة كبرى • وتغيير ملامحها ومعالمها التى اكتسبت بها شخصيتها وأهميتهـــا ، والتى بدونها تصبح شيئا آخر تماما •

ان أوديب سوفوكليس فعل كل ما فعل من آثام وهو لا يدرك اطلاقا حقيقة ما يفعل ، وهذا ما جعلنا نتعاطف معه عندما واجـه الحقيقة ، وهذا أيضا هو ما أدى الى التطهير « Catharisis » حيث أثار شفقتنا عليه وخوفنا من مقابلة مثل ما قابله •

ـ ولكن كيف نتعاطف مع أوديب ـ باكثير ؟

ـ وكيف يثير عطفنا وشفقتنا ، وهو فى نظرنا آثم لأنه يعلم ـ منذ البداية ـ حقيقة ما يرتكبه من أخطاء ومع ذلك يسير ويتمادى ؟

أحداث المسرحية الأولى تعطينا هذا الاحساس ، وهذا التصور لشخصية أوديب • ولكن يبدو أن المؤلف أدرك ذلك فعمل على تداركه بأن فسر تصرفات أوديب تحت ضوء جديد •• أقصد فى ضوء تدبير كبير الكهنة •• ذلك الذى رسم مؤامرة ، وحبك خيوطها جميعها ليوقع أوديب فيها ، وقد كان له ذلك • الا أن تلك المؤامرة تكتشف فى نهاية المسرحية فيلقى « لوكسنياس » جزاء ما اقترفت يداه •

نعود الى أحداث المسرحية « حيث تعبر » جوكاست عن حبها الشديد « لأوديب » وكراهيتها لذكر اسم « لايوس » الذى يعكر صفوها مع من تحب •

وهى ـ مع ذلك ـ تتفق مع « جوكاست ـ الحكيم » التى رأت فى أوديب حلم حياتها ، فكان لها عوضا عن كل شىء • عن ما قضته فى أحضان « لايوس » العجوز الذى يقارب والدها سنا •

ويجرى المؤلف حوارا على لسان أوديب وهو أقرب الى التحقيق •• حيث يسأل « جوكاست » عما اذا كانت قد شعرت بحرج من زواجها به •• وهو قاتل زوجها ؟ فتجيبه بأن تلك مشيئة القدر •• الذى قد يكون فى ذلك عقابا لقتل « لايوس » لابنه وهو فى المهد صغيرا •• وان كانت « جوكاست » ، هنا ، تعلم بأن زوجها هو قاتل زوجها السابق ، الا أنها لا تعلم ـ على الاطلاق ـ انه ابنها •

وعلى العكس من ذلك ، فان أوديب يعلم بأن « جوكاست » أمه قبل أن تكون زوجته ـ وهو يعلم ويعرف ـ ورغم ذلك لم يمتنع

عن الزواج منها – رغم علمه ومعرفتها – مما يجعلنا نستنكر هذا التصرف الغـــير الطبيعي والذى يضـعف من قيمة الشـــخصية والأحداث ٠

ويخبر « كريون » « أوديب » بقدوم « ترزياس » ٠٠ الكاهن الذى نبذه المعبد منذ زمن طويل ٠ وأمام هذا الموقف يظهر لنا جبن « جوكاست » وخوفها انهـا تطلب من « أوديب » ألا يســـمح له بالدخول خوفا من علم الكاهن الأكبر بذلك ٠ وتسـببه في ايذاء أوديب ٠

وأمام هذا الموقف أيضا تتضح شجاعة أوديب التى سبقت أن وصفتها « جوكاست » بأنها « أكثر مما ينبغى » ، فهو يحرص على مقابلته ٠

وتأخذ « جوكاست » فى تعديد صفات « تريزياس » ، فتارة تقول « انه مخيف » وأخرى « انه عظيم المكر » وأخـــيرا تعبر عن خوفها منه قائلة أن قلبها يحدثها بشر من قبله ٠

ويدخـــل « تريزياس » فيلتمس من « أوديب » البقـــاء فى قصره ، فيرحب « أوديب » لتبدأ المناقشة بين الملك والكاهن المنبوذ من المعبد – حيث يظن « أوديب » – فى البداية – أن « تريزياس » كافر بالمعبد ولذلك قد طرد منه ولكنه يعود ويعلم أن « تريزياس »، قد طرد من المعبد لأنه مؤمن بالاله ٠ منكر لتصرفات كهنة المعبد ٠ ولذلك ، « فتريزيـاس » يتفـــق مع « أوديب » وان كان يختلف معه فى موافقته على مصادرة أموال المعبد وتوزيعها على الشـــعب المنكوب ٠ ويختلف معه فى انكاره للاله ٠ وثمة تشابه ، هنا ، بين « أوديب » – باكثير – و « أوديب » أندريه في أن كليهما ملحد ٠ وان كان أوديب جيـــد » قد آمن أولا وأخيرا بالانســـان ومقدرته وفرديته ، فان أوديب باكثير ملحد لأنه يرى أن ما يفعله الاله هو محض افتراء عليه ٠

ويتفق معنا رأى الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجي اذ يقول فى كتابه « الأسطورة فى المسرح المعاصر » ص ١٤٠ :

« كان أوضح من تأثر به باكثير فى رسمه لشخصية أوديب هو أندريه جيد وكأنما أراد أن يعارضه فى عمله هذا ، فان ابراز أوديب فى البداية ملحدا لا يؤمن باله الا عقله وارادته •

ويختلف الحاد أوديب جيد عن الحاد أوديب باكثير ، فان أوديب جيد كان لا يؤمن بغير الانسان ، ولا يرى قوة فى الأرض غير قوة الانسان ، أما أوديب باكثير فقد كفر بالاله ، لأن وحيه كشف له عن اله قاس • وحين يأتيه تريزياس فيرحب به ، ظنا منه أنه ملحد مثله ، غير أن تريزياس جاء ليعيده الى حظيرة الايمان ، فان الله الحق لايوحى بالشر والاثم ، وانما يوحى بالخير والبر » •

ولو عدنا لأحداث المسرحية لوجدنا أن أوديب أخذ يستمع من تريزياس الى كل تفاصيل مؤامرة « لوكسياس » كبير الكهنة التى هى مؤامرة فرد وليست مؤامرة أو وحى اله كما كان أوديب يظن ذلك •

(الوحى الكاذب هنا أو محاولة اســتفادة كاهن عن طريق وحى كاذب نجدها فى مسرحية الحكيم • حيث يخطط تريزياس ـ هناك ـ ليتخلص من ابن لايوس • ويخطط بعد ذلك لمساعدة أوديب على حل اللغز واجلاسه على عرش طيبة مسيرا بذلك الأحداث تبعا لرغبته وارادته هو •) •

فهنا نجد « لوكسياس » قد اختلق وحيا وقت أن كان لايوس حيا يرزق دفعه الى اختلاقه حبه فى المال حيث تقاضى من بوليب الذى كان خصم لايوس ألف ألف أبول فى مقابل القضاء على ولد لايوس أو الوريث الشرعى له وولى العهد الذى يهدد وجوده أمن بوليب الذى كان محروم الولد •

(وهنا أيضا يخرج باكثير من الاطار العام للاسطورة ويخالفه بجعله لايوس ، وبوليب يختصمان على زعامة هيلاس) ٠

وبعد أن يكذب تريزياس هذه النبوءة الأولى يكشف عن كون أوديب ابنا للايوس تلك الحقيقة التى لم يكن ليصدقها أوديب ٠

وما تقول الاسطورة بأنه قد جاء مصادفة يجعله باكثير مقصودا وعن عمد مرتب بدقة متناهية فلوكسياس كبير الكهنة يوعز الى الراعى الذى حمل الابن لايوس ليقتله الا يقتـــله ويخبره بأن ذلك وحى من الاله ٠ بل يطلب منه أن يسلمه للراعى الكورنثى ٠ ويفعل ذلك ٠

ومن جهة أخرى كان لوكسياس قد أوعز الى الراعى الكورنثى أن يسلم الطفل لبوليب فتبناه بوليب بعد أن تسلمه فرباه أحسن تربية الى أن كبر فأوعز الكاهن الى شاب صديق لأوديب فى شبابه هو « بونتيس » أن يطلعه على أنه ليس ابنا للملك بوليب وزوجته ميروب ٠ فى أحد مجالس الشراب التى أخبرتنا بها الاسطورة ٠ ويذهب أوديب لسؤال المعبد فى دلف ٠ فيخبره لوكسياس أنه ابن لايوس وجوكاست وأنه قد قدر عليه أن يقتل أباه ويتزوج من أمه (ونلاحظ أن علم أوديب هنا بوالديه الحقيقين قد تنافى مع المعالجات الكثيرة التى تفترض باستمرار جهل أوديب بحقيقة أبويه ذلك الجهل الذى يدفعه الى أن يسلك مسلكه فى المسرحية ليجعلنا على الدوام ندرك بمأساته ونتعاطف معه ونأسى له ونأسف ونشفق عليه) ٠

وعملا بالمبدأ الذى يقول بأن المحذور دائما ، مرغوب فيه ، فان لوكسياس يحذر أوديب من الذهاب الى طيبة لا يمانع بينه وبين ذهابه لطيبة ولكن ليغريه بالذهاب اليها عملا بالمبدأ الذى ذكرته آنفا ٠

وينهى لوكســياس مهمته مع أوديب ليبـــدأها مع لايوس ،

فيخبره ، وقد علم باعتزام أوديب على الذهاب لطيبة ، يخبره بنجاة أوديب من القتل حيا واقامته فى قصر بوليب عدوه · بل واعتزامه على المجىء اليه ليقتله ·· وبذلك يدفع لايوس على أن يتجهز للقضاء على أوديب قبل أن يقضى هو عليه · وفى الطريق بين دلف ودوليس يقابل أوديب ويتصدى له ، ولكن بدلا من أن يتخلص لايوس منه كما اعتزم ذلك تشاء الصدفة أن يتخلص أوديب من لايوس عن غير قصد ، وأقول عن « غير قصد » لأن أوديب كان قد تعرف على أبيه ولم يرد أن يمسسه بضر · بل أراد أن يقبله · وما كان من قتل لايوس الا نتيجة لرغبة مسبقة منه فى التخلص من ابنه · ولكن الصدفة تعكس الوضع وتقضى على لايوس قاصد القتل عمدا ولكن عن غير عمد من قاتله أو ابنه أوديب ·

(وهذا الموقف أن كان يتفق من ناحيــة الشـــكل العام مع الاسطورة الا أنه يخالفها فصحيح أن أوديب قد قتل أباه فى هذا المكان عن غير عمد فى الاسطورة الا أن غير الصحيح أن أوديب فى الاسطورة كان يجهل كون ذلك الشيخ الذى يعترضه أباه ومن هنا جاء القتل عن جهل بالاضافة الى أنه عن غير عمد) ·

وعندما يتوجه أوديب لطيبة بعــــد ذلك رغم تكرار تحذير لوكسياس له المقصود به اغراءه بالذهاب لا التحذير منه · فهو يذهب · فيصـــطنع لوكسياس أبا الهول الدميـــة التى يجلس بداخلها شخص يحركها ويلقى سؤالا على أوديب يعرف أوديب حله حق المعرفة من ميروب التى كان يعيش معها فيحله ويصرع أبا الهول المزيف أو المأمور بأن ينصرع من قبل لوكسياس لينــــال أوديب الجائزة عرش طيبة ويد ملكتهـــا جوكاست أمه · التى تعـلم من الشخص الوحيد الذى نجا من القتـــل أن قاتل لايوس هو أوديب ولكنها تتغاضى عن ذلك مؤثرة العيش فى حضن رجل أحبته تطمع فى أن يعوضها ما فقدته من سعادة مع لايوس فالحى عندها أبقى من الميت ــ كما تقول الاسطورة الرومانية ·

وبعد أن تتكشف الحقيقة كاملة واضحة أمام عينى أوديب نجده يغشى عليه لينتهى المنظر الأول من الفصل الأول من المسرحية بجملة قصيرة من تريزياس ، حملها باكثر ايماءات ورموز شفافة فهو يقول : « هونى عليك يا جوكاستا ، فلا بأس عليه الآن .. لقد كان نائما .. فاستيقظ . »

فتريزياس هنا لا يقصد النوم والاستيقاظ بمعناهما الواقعى كنوم واستيقاظ وانما هو يقصد ظلال معانيهما « فالنوم » قد يكون حالة أوديب وجهله السابق للحظة تكشفه الحقيقة أو علمه بها . والاستيقاظ . قد يقصد به ما آل اليه بعد علمه وتكشف الحقيقة أمامه بعد ذلك .

وتكون هذه الجملة بمثابة الصاعقة فتطلب جوكاست فى ثورتها من كريون أن يقتل الأعمى البصير تريزياس . وان كان كريون يأبى ذلك .

ويعلق تريزياس البصير على الأحداث قائلا :

« ويح أوديب .. لطالما بقى مفتوح العينين وهو نائم فلما استيقظ أغمض عينيه . »

ويسدل الستار

المشهد الثانى من الفصل الأول :

فى ضحى اليوم التالى يجلس أوديب والحزن فى عينيه مع تريزياس الذى يحاول أن يخفف من مصيبة أوديب الذى يستبشع فعلته ويتمنى الموت الا أنه يتراجع عنه عندما يتصور أنه سيقابل أباه لايوس فى الدار الآخرة • ذلك الذى قتله وأجرم فى حقه •

(والصورة التى يرسمها باكثير ، هنا ، جميلة وجديدة ، فلم يسبقه أحد فى تصوير موقف أوديب من لقاء أبيه • ذلك الذى يبين عن صراعه الداخلى مع نفسه) •

ويهتدى أوديب لحل هذا الموقف الذى يضايقه كل المضايقة • انه الظلام الذى سيسود عالمه بعد أن يفقأ عينيه فيعيش ما تبقى من حياته لا يرى عاره • واذا مات فلن يرى وجه لايوس ولا وجوه من يتغامزون عليه •

ويحذره تريزياس من تنفيذ ذلك الذى يفكر فيه •

(دافع أوديب هنا لفقء عينيه يختلف عن واقع أوديب فى الاسطورة أو فى مسرحية سوفوكليس) •

ويحاول أوديب أن ينفى مسئوليته عما حدث لأنه كان واقعا تحت تأثير لوكسياس الكاهن الذى دبر له كل شيء منذ أن كان جنينا فى بطن أمه • ولكن تريزياس يناقشه فى ذلك • فيزعم تريزياس أن ربه قد أعطى أوديب عقلا وارادة •

(ويطول الحوار ويثقل القارىء باطالته وعدم اضافته للجديد • فيبدو عقيما جافا) •

ويبحث أوديب عن حـــل للموقف الجديد الذى أصـبح فيه فيســأل تريزياس عن امكانية ستر الحقيقـــة على أن يعيش مع جوكاست أمام الناس زوجين • وفى السر ولـد وأمه فيرفض ذلك تريزياس مخبرا اياه أنه ان فعل ذلك فلن يسكت عليه المعبد الذى عزم مصادرة أمواله • ويفضل تريزياس اغضاب المعبد على اغضاب الاله ، لتصبح الفضيحة كفارة لذنب أوديب وأمه •

ويتســاءل أوديب عن كيفيـــة مواجهة جوكاست بالحقيقـة المروعة • فيخبره تريزياس بأهمية الاسراع بعملية كشف الحقيقة كاملة أمامها •

ويقطع حديثهما ضوضاء ، انه صوت الشعب الآتى من خارج القصر • فيرتاب الجميع ظانين أن الشعب ثائر بعد أن حفزه الكاهن الأكبر ضد أوديب • ولكن سرعان ما تنكشف الحقيقة • لقد حضر الشعب وشيوخه الى أوديب من أجل التوســل لارســال كريون لمعبد دلف ليستخبره فى أمر ما ينزل بطيبة • وبعد أن نعلم برفض أوديب سؤال المعبد نجده يوافق بناء على طلب تريزياس وكريون • وبل يعلن ذلك بنفسه للشعب •

ويطلب أوديب من كريون أن يسرع للمعبـد — ثم يصطحب أوديب تريزياس ليخرجا •

وتدخل جوكاست الملكة ليخبرها كريون بموافقة أوديب على استشارة المعبد أخيرا • ولكن جوكاست تعبر له عن خوفها الشديد من وحى المعبد الذى سيعود به كريون وكذلك من بقاء تريزياس فى قصرها • ذلك الكاهن الذى جعل زوجها ، لايطيق النظر الى وجهها •

ويخرج كريون ليحضر أوديب ويفـاجىء جوكاسـت بأن يدعوها بأمه فتظن أنه يقصد ميروب ولكنه يعود ويكرر لفظة «أمى» يود أوديب أن يكشف الحقيقة أمام جوكاست الا أنه كلما حاول ذلك عقـد لسانه • فنجـده يطرح كل ما بداخـله فى مناجاة او « Monologe » يسترجع فيه حديث تريزياس له • ويستجمع قواه ويشجع نفسه على مواجهة جوكاست ومكاشفتها بالحقيقة المرة مهما كان الثمن • وما أن ينتهى أوديب من منـاجاته حتى تدخل جوكاست بأولادها الذين كان أوديب قد طلب رؤيتهم •

ويعبر أوديب عن شوقه الشـديد لأولاده ويضمهم اليـه ويقبلهم • ولكنهم يسألوه أن يرحـل الكاهن ترزياس عنهم فهم يكرهونه كثيرا • وان كانت انتيجون الوحيدة بينهم التى تستنكر ذلك •

وبينمـا أولاد أوديب فى حجرة يجتمعـون فى حنان نجد جوكاست تقترب منه لتميل عليه وتضع يدها وفمها عليه فى حنان صائحة « أوديب » بينما هو يرد عليها « جوكاست » وقد مسح بيده على رأسها دون أن ينظر اليها • وينتهى المنظر الثانى من الفصل الاول بانهزام أوديب أمام عزمه وعدم قدرته على مواجهة جوكاست بل وانصياعه للواقع •

الفصل الثاني :

فى نفس المنظر السابق • ولكن عند مطلع الفجر تدور أحداث هذا الفصل حيث يقصد باكثير بهـــذا التوقيت التأكيد على كون أوديب نائما ، وبعيدا عما يدور من أحداث تقف جوكاست مضطربة منتظرة ترزياس ، الذى يقبل بعد لحظات فيحييها وتحييه •

ثم تطلب منه أن يصلح ما أفسده • فيؤكد لها أنه جاء ليصلح ما أفسده غيره لا ما أفسده هو • ويطول الحوار بينهما ونتبين منه خلافهما الشديد •• فجوكاست حريصة على استرداد سعادتها بأى ثمن •• وترزياس حريص على اطلاعها على الحقيقة بأى حال •

وعندما يعلما باستيقاظ النـــائم أوديب يكفا عن الحـديث الذى كان بينهما • وينصرف تريزياس حيث يدخل أوديب ويسأل جوكاست عن سر استيقاظها مبكرا • فتخبره انها لا تنام وان أرقها سببه هجرانه لها وتجافيه عنها لغير ذنب جنته •

وترجع جوكاست سبب ذلك الى ترزياس الذى باع من أجله أوديب حبه وسعادته وتتحدث المرأة فى جوكاست حديثا صريحا عن الرغبة الشديدة فى سرير زوجها الذى تحبه •

ويدعو أوديب الاله أن يحل العقدة من لسانه ليطلعهـــا على الحقيقة الصعبة ويدعوها « أماه » فتنهاه عن ذلك • الا أنه يتشجع

ويصارحها بحقيقة كونه ابنها الذى لم يقتل على «الكثيرون» فتستنكر ذلك وترفضه رفضا للحقيقة المرة وتطلب منه أن يبقيها على أرض الواقع التى تجد نفسها مشدودة اليها • فيقول لها أوديب مستحيل أن تعيشى على وهم •

وتفكر جوكاست فى كلام أوديب ظانة أنه يريد أن يتخلص منها من أجل حب أخرى أجمل •• وأصغر فتســـتنكر ذلك تماما وتذكره بلايوس الذى تزوجها بعد أن كبرت زوجته •

(ان باكثير هنا يستعرض بشكل مباشر قضايا فرعية •• يستعرض رأى المرأة فى الرجل •• هذا الرأى الذى قد يكون مجحفا الا أنه يبدو ملحا فى بعض الأحيان) •

وتبدأ جوكاست فى فقــدان وعيها لتتـــداعى أفكارها من لا وعيها مباشرة مختلطة لديها ومتداخلة • فأوديب تبصره لايوس بل وتصر على رأيها فيه • ويرثى لها أوديب ويحاول افاقتهـــا فى هدوء •• وعندما تفيق تخرج ثائرة على ترزياس •

ويعلق ترزياس لمنساس عن سعادته لمواجهة أوديب للعاصفة العنيفة ويقول انه لم يعد يخاف عليه الآن من أى شىء يكون •

يعود أوديب ويعتذر لترزياس عما بدر من جوكاســـت • ويطلب منه أن يدعــو لها • وبينمـــا هم كذلك اذا بأولاد أوديب قادمون يطلبــون من أبيهم أن يطرد تريزياس الذى يعتقــدون أنه سبب مرض أمهم • فتنهاهم انتيجون عن ذلك • ويطلب أوديب منها أن تذهب لتسرى عن أمها ولا تبارحها بعد أن يباركها ويعبر عن حبه الشديد لها •• ويثنى عليها كثيرا •

ويدخل الحاجب ليعلن نبأ قدوم كريون ومعه الكاهن الأكبر • وما أن يســـمع أوديب كلام الحاجب حـتى يطلب أن يتعرف من

ترزياس على رأيه فيخبره ترزياس أنه قد علم من تابعه أن الكاهن الأكبر أتى لمساومة أوديب • ولأن أوديب سيرفض مساومته يطلب ترزياس منه أن يدعو ثلاثة من شيوخ المدينة ويخفيهم فى المخدع ليستمعوا الى كلام الكاهن الأكبر ويشهدوا به أمام الشعب وقت أن يشتد الموقف ويحتاج شهادتهم ويطلب أوديب استحضار ثلاثة من شيوخ طيبة • ويكون له ذلك •

ويخبرنا باكثير على لسان أوديب بقدوم بوليب وميروب ليشتركا فى الأحداث القادمة فى المسرحية بعد أن أزال أوديب تخاصمهما مع طيبة • ولكن أوديب يود لو تأخر قدوم كريون قليلا حتى يحضر بوليب وميروب • وماهم كذلك اذا بوجوه طيبة الثلاثة يحضرون فيطلعهم أوديب على ما يجب أن يفعلوه • ويحضر كريون ويسأله أوديب عما حمله المعبد فيجيب بأن الكاهن الأكبر قد رأى أن يحمله بنفسه اليك • ويتحدث لوكسياس فيقول لأوديب أنه من الخير ألا يسمع وحى أبوللون غيره • لكن أوديب يريد أن يستبقى كريون معه ، فيرفض لوكسياس وينصرف كريون الى حيث جوكاست • ويستمع أوديب الى لوكسياس ، يستمع الى أمور يعرفها من تلقاء نفسه أو هو قد عرفها منذ وقت قليل بواسطة ترزياس • أما فى الاسطورة فنحن نجد غير ذلك • حيث يفاجأ أوديب بوحى المعبد الذى جاء مع كريون ولم يكن يعرفه أو يدركه من قبل •

ويعلن لوكسياس لأوديب ما هو آت من أجله • يطلب منه أن يعيد النذور كما كانت • ويعدل عن مصادرته لأموال المعبد • وأخيرا يسلم ترزياس ليحاكمه المعبد على خياناته • ويستدرجه أوديب قائلا ، وما جزائى اذا قبلت هذا العرض منك •

فيرد لوكسياس بأنه لو فعل ذلك لبقى فى عرشه وظل سره بعيدا عن الشعب •

فيستطرد أوديب قائلا : « واذا رفضت ؟ »

فيكون رد لوكسياس : « أذعنا الوحي للشعب فثار عليك وأسقطك من عرشك ٠٠ »

ويرفض أوديب العرض بعد أن يكون قد تأكد من سماع وجوه طيبة الثلاثة لكل ما دار من حوار بينه وبين كبير الكهنة ليشهدوا عليه ٠

ويعود لوكسياس فيسأل أوديب عما اذا كانت جوكاست موافقة على فضيحتها أمام شعبها فيخبره أوديب بأن ذلك ليس من شأنه في شيء ٠

وتحضر جوكاست فجأة لتمانع بين أوديب وبين ما اعتزم فعله من أجل مصيرها ومصير أولادها ٠ ولكن أوديب رافض منطقها ٠٠ ولذلك فهو يحاول اقناعها بما هم فيه من وضع حرج يستلزم تصرفا واحدا هو ما يراه ٠

فتحاول هي أن تستعطفه ٠ فلا تجد منه استجابة ٠

ويستجمع أوديب شجاعته كلها ليطلب من لوكسياس أن يذهب ويعلن ما يشاء في الشعب ويفعل لوكسياس ما عزم عليه ٠ ويخرج شيوخ طيبة الثلاثة من المخدع ليشهدوا بما سمعوا ٠ ويقف ترزياس يشجع أوديب ويسانده ويقوى من عزمه ويشحذ همته ٠ ان أوديب يستعد لأصعب امتحان ٠ وكريون يقف مذهولا غير مدرك لكنه ما يدور فيسأل ترزياس تارة وأوديب أخرى ٠ ويتهمه ترزياس بالغباء ٠

وبينما الأحداث ترتفع درجة حرارتها بسرعة ٠ يطلع علينا باكثير بنبأ مصرع جوكاست التي خنقت نفسها بحبل غليظ ومبرر انتحارها هو خوفها الشديد من مواجهة شعبها بعد افتضاح أمرها ٠

انها لم تستبشع ما هى فيه ، لم تستبشع كونها أم وزوجة لرجل واحد كما فعلت جوكاست ـ سوفوكليس مثلا فشنقت نفسها حتى لا يعذبها ضميرها ولكنها هنا طلبت الموت هربا من الواقع الذى سيصعب عليها مواجهته خوفا من مواجهتها لشعبها وهى آثمة ٠

وأمام جثة جوكاست يلوم أوديب نفسه ويقول أنه سبب ذلك هو وترزياس ٠ فيخبره ترزياس أن الاله سيغفر له ٠

وبينما هم كذلك يفيق باكثير جوكاست من سكرتها ـ فى موقف ميلودرامى ـ لتوصى أوديب باخوته وأولاده خيرا ، وتخبره بأنه ليس لهم فى الدنيا غيره ٠ ثم تعود فتوصى كريون أن يخلص لهم أيضا ٠ فيعداها بذلك ٠ وتلفظ أنفاسها الأخيرة ٠

وأمام جلال الموقف يحاول أوديب أن يقتل نفسه بسيفه فيمنعه ترزياس وكريون عن ذلك ويذكراه بشعبه وواجبه نحوه ٠

لينتهى الفصل الثانى ٠ أقصر فصول المسرحية ٠ وليبدأ فصلها الثالث المبنى من مشهدين الأول طويل والآخر قصير ٠

الفصل الثالث :

المشهد الأول :

تنقسم خشبة المسرح الى قســـمين أو جانبين · فيجلس فى الجانب الأيمن ، لوكسياس الكاهن الأكبر ومن حوله الكهنة وشيوخ طيبة وأشرافها ، وفى الجانب الأيسر ، يجلس الملك أوديب مميزا بكرسيه الملكى ومن حوله ترزياس وكريون · وأمام أبواب القصر يجلس شعب طيبة ·· الذى يبكى ملكته جوكاست ·

ويلتمس رئيس شيوخ طيبة من ملـــكها أوديب أن ينحى مصابه جانبا ويبحث فيما قال به الوحى ليرفع عن طيبة ما تعانيه من عذاب · ان رئيس شيوخ طيبـــة يطلب من أوديب ، الآثم أن يخبره عمن يقصده الوحي والذى أعلن أنه موجود فى قصر أوديب ·· يا للمفارقة ·· ان رئيس الشيوخ يطلب من أوديب أن يخبره بذلك الذى قتل أباه وتزوج أمه · وقتل لايوس ملكهم السابق ·

فيعلن أوديب ما اعتزم فعله لاصلاح حال شعب طيبـــة من مصادرة أموال المعبد وتوزيعها على الشعب فيثير ذلك لوكسياس كبير الكهنة ويحاول اثارة الشعب ضـــد أوديب وترزياس · ولكن ترزياس يحذرهم من مكر لوكسياس ويطلب منهم ألا ينقلبوا ضد ملكهم من جراء كلمات لوكسياس · بل ان عليهم أن يتريثوا ·

وبعد محاولات عديدة من جانب كل من لوكسياس وأوديب للابتعاد عن تحمل مسئولية النطق بحقيقـة الآثم · نجـــد أوديب

لا يطيق انتظارا بل يطلب من الشعب أن يقتله لأنه الآثم فيقول :
(ص ۱۳۱ من المسرحية)

أوديب : « اقتلونى يا شعب طيبـــة ·· أنا ذلكم الرجس الذى تطلبون ·· اقتلونى والقوا بجثتى للسباع الجائعة والطيور الكاسرة ···

هناك فى قمة كثيرون حيث كان ينبغى أن ألقى حتفى من خمسة وثلاثين عاما ! ·· »

ويحاول كريون الذى يجهل الحقيقة الدفاع عن أوديب الذى لا يراه قط مخطئا · فيكذب لوكسياس حيث يتأكد كريون تماما من مقتل طفل لايوس فى المهد · الا أن لوكسياس يخبر الجميـــع بوجود « نيقوس » وهو اسم الخادم الذى حمل أوديب · انه مازال حيـــا يرزق · فيطلب لوكسياس شهادته · فيشـــهد بأنه سلمه لراعى كورنثة ويصعد راعى كورنثة أيضا الى مسرح الأحداث حيث يؤكد كلام « نيقوس » وانه أسلم الصبى لبوليب وميروب ملـــكا كورنثة ·

ومن خلال ذلك الحوار السريع القريب الى شـــكل المحاكمة ، والذى يظهر فيه الاتهام تارة والدفاع تارة أخرى ·· اتهام كريون للوكسياس ودفاع لوكســياس عن نفسه ثم اتهـــام لوكسياس لأوديب ودفاع ترزياس عن أوديب الى جانب دفاع كريون عنه · من خلال ذلك الشكل اللاهث فى الحوار الذى نجح فيه باكثير ·· نجح فى أن يجعل كل الخبايا والأسرار والخفايا تتداعى وتتساقط لينبلج الحق ويتضح ويظهر على السطح لقد تداعت كل مؤامرات لوكسياس الخبيثة منذ ادعائه الوحى الكاذب للايوس وتحريضه على قتل ولده ·· ذلك التحريض الذى كان من نتيجته مقتل لايوس نفسه ، وحتى تكرار وصفه لجمال جوكاست الذى لا يقاوم كى يوجه أوديب اليها ولا يبعده عنها وعن طريقهـــا · ومرورا بتواطئه مع

بوليب ـ وقت أن كان عدوا لطيبة ـ ومحاولته اشعال نار الفتنة من آن لآخر .

بعد أن تنكشف الحقيقة كاملة غير منقوصة أمام أعين الجميع وفي حضورهم وبعد أن يشرك باكثير كلا من بوليب وميروب فى هذه المحاكمة الخطيرة . متخطيا بذلك حدود الاسطورة ومعالمها الواضحة الصريحة .. التى لم يحدث فيها قط أن زار بوليب وميروب طيبة على الاطلاق . ذلك التجاوز والتخطى لأحداث الاسطورة ومعالمها الذى لا أوافق عليه المؤلف وأستنكره لتغييره من الشكل العام للاسطورة اليونانية . ذلك الذى يعتبره باكثير تجديدا لخدمة غرض درامى هو ادانة بوليب نفسه للوكسياس وقطع أى خطوة للتراجع من جانبه . أو للكذب والتضليل لو لم يكن بوليب أو ميروب حاضرين .

بعد كل تلك الأحداث الطويلة التى شكلت المشهد الأول من الفصل الثالث نجد أوديب يحكم ، بناء على طلب الشعب ، على لوكسياس بالنفى فى «الكثيرون» وعدم مبارحته مدى الحياة . فينهار لوكسياس تماما بعد أن كان قد اخترع فكرة جديدة لتوريط اوديب أمام الشعب هى فكرة عودة ظهور أبا الهول مرة ثانية ، تلك الدمية التى يحركها أحد الكهنة بموجب تعليمات لوكسياس .. ولكن أبا الهول يساهم فى كشف مؤامرات لوكسياس اذ لا ينفذ الكاهن الذى بداخله ما طلب منه . بل يخرج ليعلن فى الحضور حقيقة الدور الذى أسنده اليه لوكسياس منذ البداية فيؤكد بذلك كله جرم لوكسياس ويؤدى فى النهاية الى الحكم الذى استصدره أوديب ضده بالنفى مدى الحياة .

ويطلب أوديب من شعبه أن يعفيه من الحكم حتى يتفرغ بقية حياته للندم وحده والاستغفار .

الا أن الشعب يرجوه أن يبقى قائلا :

« حنانيك يا أوديب ! •• لا تتركنا يا أوديب ! ليس لنا غيرك » (١) •

ويوافق أوديب رغبة شعبه ، ويعلن تولية ترزياس رئاسة المعبد خلفا للوكسياس ــ وتوزع أملاك المعبد على جميع أفراد الشعب بالعدل والسوية •

وبعد ذلك كله نجد بوليب يقف ليعلن خبرا غريبا هو تنازله عن عرش كورنثه لأوديب بعد موافقة ممثلي شعبه • ويتعانق الملكان ــ لينتهي المشهد الأول من الفصل الثالث •

---

(١) علي أحمد باكثير ــ مسرحية مأساة أوديب ص ١٧٢ •

المشهد الثانى :

جانب من دهليز القصر الأمامى ، يظهر البابان فيه المؤديان الى داخل القصر ، ويظهر أيضا على المسرح جانب من الدرج المرمرى الهابط الى خارج القصر ٠

وتحديد باكثير للزمن الذى تدور فيه الأحداث بأنه الهزيع الأخير من الليل فيه الكثير من الرمزية ، وحالفه التوفيق فيـــه ، فالمأساة أوشكت على نهايتها أو أشرفت عليها ٠ والرحيل اقترب ٠٠ وأنسب وقت لذلك هو عين الوقت الذى نص عليه باكثير ٠

يقف أوديب باديا على وجهه الحزن ٠٠ مخاطبا طيبة ٠٠ معبرا عن حزنه لمصيره الذى آل اليه ٠ وسعادته بمصير طيبة الذى وصلت اليه ٠

يرثى أوديب حاله ٠ ويخاطب قصره ٠٠ وشعبه النائم ٠٠ وأولاده الصغار ٠ ان أوديب يجسد بالتدريج ما قد عزم عليه من الرحيل ٠ بدون أن يتفوه بكلمة واحدة صريحة أو مباشرة عن ذلك الرحيل ٠

وهو عندما يودع « انتيجون » تظهر له وتقول :
« كلا يا أبت ٠٠ أنا ذاهبة معك حيثما تذهب ! » (١) ٠

---

(١) على احمد باكثير ـ مأساة أوديب ـ ص ١٧٧ ٠

فيندهش أوديب من كلامها ويحتضنها ويعلم منها أنها ما نامت طيلة ليلتها ويطلب منها أن تبقى ، لا ٠٠ انها تأبى ذلك وترفض بل تطلب منه أن تسبقه لتهبط الدرج وتنتظره فى الخارج ٠

ويظهر ترزياس محاولا أن يثنى أوديب عما عزم عليه ٠ لكن أوديب لايوافقه بل يخبره أنه ما اصطحب سيفه معه الا ليقتل به كل من تحدثه نفسه أن يثنيه عن سبيله ٠

يودعه أوديب بقبلة على رأسه ٠ ويطلب منه أن يوصى كريون خيرا بأولاده ويهبط الدرج وهو يترنم بكلمات تعبر أصدق تعبير ، ـ من طريقة اختيارها وترتيبها ـ عن ذهول أوديب وحالته النفسية السيئة ٠

الا أنه بعد أن يبتعد ينادى ترزياس قائلا :

« تذكر أن مع اليأس لأملا ٠٠ وأن مع الماضي لمستقبلا ٠ »

أنا الماضى يا ترزياس فلأمضى ليجىء المستقبل !

وأما اليأس يا ترزياس ٠٠ فلأمضى ليجىء الأمل » (١) ٠

ولى ملاحظة على نهاية مسرحية باكثير لفتت نظرى ، منذ المطالعة الأولى للمسرحية ، فرحيل أوديب لم يبرره باكثير دراميا ٠ لقد رأيناه فى نهاية المشهد الأول من الفصل الثالث سعيدا بعد أن اكتشف حقيقة المؤامرة التى نصبت شباكها حوله والتى كانت صنيعة كاهن ماكر ٠ وهو ـ أقصد أوديب ـ سعيد أيضا بثقة بوليب فيه وتنازله له عن تاج كورنثة عن طيب خاطر ليصبح ملكا لطيبة وكورنثة ٠

أظن أن المشهد الأول من الفصل الأخير انتهى باوديب سعيدا نفسيا ومرتاحا ٠ ولكننا نجده فى المشهد الثانى من الفصل الأخير

---

(١) على أحمد باكثير ـ مأساة أوديب ـ ص ١٨٥ ٠

مغايرا له فى المشهد الأول تمام المغايرة • فهو منذ بداية المشهد حزين عابس قاده هذا الحزن والعبوس الى ترك المدينة ــ فى حالة نفسية سيئة ــ ونفى نفسه متساويا فى ذلك مع لوكسياس المخادع الذى نفاه بنفسه البارحة •

ان المشهد الأول لم يؤد الى المشهد الثانى بأى حال من الأحوال للأسباب التى أوضحتها من قبل • ولذلك جاءت النهاية منفصلة عن المسرحية وغير نابعة منها • وانما هى مجرد رغبة من المؤلف فى عدم مخالفة المألوف فى معالجة أسطورة أوديب ويتضح ذلك من جعله أوديب يصطحب أنتيجون معه • فما المبرر لذلك عنده ؟

لقد فعل أوديب فى المسرحيات الأخرى ذلك وسبقه فى ذلك أوديب الأسطورة حتى تهديه انتيجون للطريق وهو الأعمى بفقء عينيه • أما أوديب باكثير فلم يستطع أن يفقأ عينيه لأن الأحداث التى مر بها لم تؤد الى ذلك الفعل •• ومن هنا فلا مبرر ــ على الاطلاق ــ لاصطحاب انتيجون •

الى جانب ذلك يتعارض الحوار الذى ينطق به أوديب أو يتخالف مع الفعل الذى نراه أمامنا فهو اذ يقول :

« أنا الماضى يا ترزياس فلأمض ليجىء المستقبل ! » (١) •

فهذا القول يتعارض تماما مع اصطحابه « لانتيجون » ــ التى هى جزء من المستقبل ــ معه فى منفاه •

أخلص من كل ما سبق الى أن نهاية مسرحية باكثير غير منطقية وغير مرتبطة بأحداث مسرحيته أو نابعة منها وانما هى نهاية جاهزة أفسدت تأثير المسرحية وتفسيرها ، وأضعفت من بنائها •

---

(١) على أحمد باكثير ــ مأساة أوديب ــ ص ١٨٥ •

ورغم أنى لا أحب اقتراح نهاية للكاتب · الا أننى أرى أن المسرحية كان بامكانها أن تنتهى نهاية أفضل لو حدث ذلك بعد نهاية المشهد الأول من الفصل الثالث مباشرة ·

★★★

ومما سبق يتضح لنا أن الصراع فى المسرحية يتجسد أساسا بين قوتين هما قوة الشر متمثلة فى لوكسياس الكاهن الأكبر الذى دبر كل شيء · وبين أوديب الذى يمثل قوة الخير والذى وقع فى شباك لوكسياس ·

وبالمسرحية صراعات أخرى ثانوية بين أوديب وجوكاست ·· بين من يهتم بالحقيقة وهى الأبقى ، ومن تهتم بالواقع وتحرص على أن تعيش فيه محاطة بهالات من الأكاذيب والأسرار التى تبذل قصارى جهدها لتجعلها فى منطقة الظل · فهى تسترضى كبير الكهنة بالمال ·· حتى تنقذ خزينة الدولة · وهى تؤثر سعادتها على مواجهة الحقيقة · وعندما تجبر على مواجهة الحقيقة فهى تفضل الهروب من كل ذلك بالانتحار شنقا · ان رائحة المرأة فى جوكاست تفوح منها كلما حادثت أوديب أمامنا أو تناجت مع نفسها فى غيابه ·

وباكثير يوضح من خلال شخصية أوديب رأيه — رأى المؤلف — فى مسئولية الانسان · وفى قضائه وقدره · فأوديب كان حرا فى اختياره لكل تصرفاته على الرغم من تدبير الكاهن لوكسياس للمؤامرة ·

وشخصية **ترزياس** هى شخصية الضمير أو الحق مجسدة على خشبة المسرح تهدى أوديب وتدفعه نحو الحقيقة وتنتشله من الواقع · وهو يخالف كل المخالفة ترزياس الحكيم الذى دبر لأوديب ما دبره لوكسياس له فى مسرحيتنا ·

أما كريون : فهو شخصية خيرة في مجملها . جاهلة في بعض الأحيان بكنه ما يدور من حولها . حتى يتهمه ترزياس بأنه دمية جميلة . وهو مندفع وهذا ما يظهر في مواضع كثيرة من المسرحية أهمها موقف هجومه على ملك كورنثة بدون أن يعرف الحقيقة . ودفاعه عن أوديب لمجرد أنه أوديب زوج جوكاست . انه يرفض الحقيقة ولكن ليس على طريقة جوكاست وانما على طريقته الخاصة ، وهو يعود ليقبلها بعد أن يلم بكل أبعادها وبخطئه أساسا .

وهو عموما ذو صفات وملامح جديدة تختلف عن ملامح وصفات كريون سوفوكليس أو كريون جيد ـ والحكيم وكوكتو .

★★★

وعن انتيجون واسمين واتيوكليس وبولونيس أقول أن باكثير قد تأثر في اظهارهم على خشبة المسرح بأندريه جيد في ذلك « فجيد » هو الذى أظهرهم على خشبة المسرح مقسما المجال أمامهم للحركة والحوار والمشاركة في الأحداث مشاركة فعالة مثمرة .

ولكن على أحمد باكثير حرص على اظهار أولاد أوديب الأربعة على خشبة المسرح لا لشيء الا ليعبروا ، وبطريقة فجة ، عن خوفهم من ترزياس وكراهيتهم له ، ورغم هذه الفجاجة الا أننى أفضل ذلك على أن يقوم أوديب أو أية شخصية أخرى بالاخبار المباشر عن تلك الكراهية لترزياس .

أما الدور الوحيد الفعال فهو دور انتيجون . فقد أكد باكثير من خلالها حب أوديب لها وتفضيلها على غيرها من اخوتها . كما أكد ظهورها حبها الشديد له وتعلقها به .. وان كانت انتيجون الحكيم قد فاقتها تأثيرا وفاعلية .

دور الجوقة :

تمثل الجوقة شعب طيبة • الذى تعمد باكثير اظهـــاره فى صورة مفرطة فى السلبية والضعف •

وقد أوضح باكثير ذلك بما وضعه على لسان الجوقة من حوار ما هو الا تأييد وترديد عقيم لكلام من يسبقها الذى غالبا ما يطلب منها ترديد ما يريد هو لا ما يريده الشعب أو تريده الجوقة •

ولعل باكثير كان يقصد بذلك ان الشعوب دائما لا كلمة لها ، وان هى الا أبواق تردد أفكار وخواطر وتعليمات من فى السلطة •

ومن المسرحية اخترت تلك الأمثلة التى تؤيدنى فى رأيى •

- ص ٤٨ **الجوقة :** « حنانيك يا أوديب •• حنانيك يا أوديب ! ••
- ص ٤٩ **الجوقة :** « عشت يا أوديب •• حيتك الآلهة يا أوديب •• دامت أيامك يا أوديب •• » •
- ص ١٣٠ **لوكسياس :** « قولوا له : يا أيها الرجس • ليس هذا من شأنك » •

الجوقة : « أيها الرجس • ليس هذا من شأنك »

- ص ١٣٣ **الجوقة :** « من ؟ •• من ؟ •

الجوقة : « لا ••• لا •• ! »

الجوقة : « نعم ••• نعم •• »

ترزياس : « فالتمسوا منه ألا يقاطعنى فى حديثى حتى أكشف لكم الحقيقة كاملة »

الجوقة : « لا تقاطعه يالوكسياس •• دعه يتم حديثه ! » •

- ص ١٣٧ **ترزياس :** « ان الشعب يا بوليب يريد أن يســـمع شهادتك فيما يتصل بطفل لايوس »

الجوقة : «أجل يابوليب الكريم ٠٠ نريد أن نسمع شهادتك ٠٠»

هذا ، وقد اختزل باكثير دور الجوقة عنــــده اختزالا كبيرا ولم يخصها بالأحداث الهامة الجليلة ، بل اكتفى بما أجراه على لسانها من جمل قصيرة هزيلة متفرقة فى أرجاء المسرحية ٠

الطاعــــون :

لم يستطع باكثير الابتعاد عن تصوير جو أزمة طيبة ٠ فذلك عنصر أساسى تقوم عليـــــه المسرحية ، أو هى النقطة التى منهـــا سينطلق :

ولذلك فقد حرص باكثير على الابقاء على التغيير ٠٠ فأبقى على عنصر الطـــاعون أو الوباء ، الذى صورته الاســــطورة ومسرحية سوفوكليس وما تلتها من معالجات للاســـــطورة ولكنه جعل الوباء مجاعة ٠

اختلف باكثير بعد ذلك فى تفسيره لهذه المجاعة : فلم يجعلها تأتى من السماء ، وهو الحريص على الاقتراب بمسرحيته من عقيدته ودينه ، أقصد من الدين الاسلامى والفلسفة الاسلامية ، كما حاول الحكيم ذلك ، ففسر سبب الكارثة التى تعانى منها « طيبة » على أنها ناتجة من خواء خزينـــــة الدولة من جراء انفـــــاق جوكاسب لمحتوياتها على المعبد ، وترضية كبير كهنته حتى يصمت وينسد فوه عن الكلام فى شأنها ، وشأن زوجها ٠٠ ذلك هو المبرر أو المسبب الحقيقى لما يعانى منه الشعب من ألم ٠٠ وفقر ٠٠ وجوع ٠ وبابتعاد باكثير ، بذلك ، عن جو الاسطورة والذى لا أوافقه عليه ، حيث أنه يعتبر انتهاكا لحرمة الاسطورة وتغييرا من معـــالمها الأساسية التى لا تقوم الا عليها ، أعود فأقول انه بابتعاده عن هذا الجو الاسطورى فهو يقترب من جو آخر هو جو الواقع ٠ ويحمل بذلك مسرحيته معانى ورموزا لذلك الواقع المعاش ٠٠ فهو يحاول أن يقول من خلال

المسرحية أن هناك طبقة أو فئة ، قد لا يقصـــد بها الحاكم ذاته ، تحتكر أموال الشعب وتســـبب ما يمر به من مجـاعات وأزمات اقتصادية ، وقد تساعد بعض عناصر حاكمة هذه الطبقة المتسترة خلف الدين ، وتترضاها بالمال والعطاء حتى تسكت أو تصمت عن أخطاء ونقاط ضعف تلك الطبقة التي تحكم ٠٠ وتأمر ٠٠ وتنهى ٠

هـكذا كان الرمز تحيطه غلالة شفافة هي الأحـــداث التي يديرها باكثير في مسرحيته ٠

النبـــوءة :

لما قضى باكثير تماما على النبـــوءة التي كانت عمـودا فقريا للاسطورة وللأعمال المسرحية التي عالجت الاسطورة ، وذلك بجعله « لوكسياس » الكاهن الأكبر مسئولا عن تدبير كل الأخطاء التي ارتكبها أوديب تدبيرا دقيقا محكم الصنع ٠ فهو بذلك قد ابتعد أيضا عن ضرورة الحاق العقاب بأوديب لأنه أثبت من خلال أحداث المسرحية ، أن أوديب كان ضحية لوحي كاذب مدبر من قبل كاهن لخدمة مصلحته الشخصية ، ولم يكن وحيا الهيا مطلقا ٠

وعلى ذلك ، فان أوديب عند باكثير لا يفقأ عينيه ٠٠ فلا داعي أو مبرر لذلك لديه ٠ ولكنه يفعل كما فعل عند « اندريه جيد » و « توفيق الحكيم » و « سوفوكليس » وغيرهم ٠٠ أقصد أنه يصمم على أن ينفى نفسه ٠ وهو عندما يفعل ذلك ، في مسرحية على أحمد باكثير فهو لا يقنعنا كل الاقناع الكافي بضرورة ذلك الفعل ٠

وهو عندما يصطحب « انتيجون » معه ، لا يحسن ذلك ، فمن ينفي نفسه لاحساسه بخطئه ، ورغبته في التكفير عن ذنبه والندم ، لماذا يصطحب معه من لا ذنب له ، ولا جرم أو خطـــأ ٠ أضف الى ذلك المبرر الحقيقي لاصطحاب انتيجون في أي من المعالجات السابقة ٠٠ ذلك المبرر الذي هو انارة ظلمة عيني أوديب من خلال عيني انتيجون ــ والذي لم يكن في مسرحيتنا ، حيث أن أوديب ظل للنهاية مفتوح العينين ٠

كلمة اخيرة :

وقبل أن أترك مسرحية « ماساة أوديب » لعلى أحمد باكثير أحب أن أسجل ما لاحظته فى هذه المسرحية من تأثر الكاتب تأثرا بالغا بالقرآن الكريم فهو يبدأ مسرحيته بعبارة منه · وتتناثر فى حواره ألفاظ مستوحاة من الكتاب تعكس اهتمام باكثير وغلبة دراسته الدينية على أعماله ·

وتلك بعض ألفاظ أستخرجها من النص مؤيدا ما أزعم :

- التحيات الطيبات ·· وعليك مثلها ص ١٩
- ان الاله ثالثنا وهو يسمع ما نقول ص ٢٠
- الأرض تميد بى ص ٣٨
- ان الاله لايظلم أحدا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون ص ٣٩
- ان ربك وحده هو الذى يتولى حسابك ، فهو وحده ، المطلع على سرائر الناس ص ٤٣
- ان باب التوبة أمامك مفتوح ص ٤٣
- بعد ما جاءته البينات ص ٦١
- لا جناح على ص ١٢٠
- أحياء يرزقون ص ١٤٤

وان كان باكثير قد وفق فى الاستيحاء من القرآن ، فقد خانه التوفيق بعد ذلك فى كثير من الألفاظ التى لا يمكننى وصفها بأقل من كونها ألفاظا معجمية لا تصلح لخشبة المسرح ولا تلائم طبيعته · وأسوق بعضها لأدلل على رأيى ـ على سبيل المثال :

- مندوحة ص ٤١
- حنانيك ص ٤٣
- جريرة ص ٤٣ أيضا
- فحيح وكشيش ص ٤٦

الباب الثالث

« كوميديا أوديب »
أو « انت اللى قتلت الوحش »

عام ١٩٧٠

لعلى سالم

« ظل الانسان لآلاف السنين .. وسيظل الى الأبد .. هو الحل الوحيد لكل الألغاز .. سيظل الانسان هو النغمة الصحيحة الواضحة بين كل الألحان الرديئة على مر العصور ... »

« تريزياس »

فى

« انت اللى قتلت الوحش »

وقفة امام على سالم مؤلف المسرحية :

على سالم من أنضج كتاب الكوميديا فى مصر • فمسرحياته ليست قهقهة عالية وكفى • وانما هى اطار مودع فيـــه على سالم نقده للمجتمع •• وسخريته •• وفلسفته ان صح التعبير ••

ولا شك أن على سالم يكتب للمسرح من خلال رؤية فنيـــة جديدة وجادة فى نفس الوقت •

- وقد قدم باكورة أعمـــاله التى تحمل عنـــوان : ولا العفاريت الزرق ـ في عام ١٩٦٥
- ثم قدم بعد ذلك مسرحية « الناس اللى فى السما الثامنة » فى عام ١٩٦٥ أيضا
- و « الراجل اللى ضحك ع الملايكة » عام ١٩٦٦
- ومسرحيتى « بير القمح » و أغنية على الممر » عام ١٩٦٨
- (البوفيه) في عام ١٩٦٨ أيضا •
- حدث في عزبة الورد : عام ١٩٦٩
- عفاريت مصر الجديدة : عام ١٩٦٩ أيضا
- كوميديا أوديب : أو انت اللى قتلت الوحش : عام ١٩٧٠
- الملوك يدخلون القرية : عام ١٩٧١
- وأخيرا : عملية نوح

ويتضح في أعمال على سالم استفادته من عمله بمسرح العرائس حيث اســـتفاد من التكنيك اللاهث • وأهميـة الكلمة الى جانب الحركة واللون • وتقطيع الفصـــل الى مجموعة متتالية من المشاهد المسرحية السريعة التى تعطى فى مجموعها الأثر العام الناتج عن خيط طويل يربطها جميعا ••

الباب الثالث

انت اللى قتلت الوحش
لعلى سالم

دفاع عن المسرحية :

« كوميـــــديا أوديب » أو « انت اللى قتلت الوحش » هى المسرحية المصرية الثالثة التى لا أستطيع أن أقول انها تعالج أسطورة أوديب الاغريقية · وان كنت أفضل أن أقول انها مسرحية مصرية معاصرة ذات اطار أسطورى هو أسطورة أوديب ·

وقد كتبت المسرحية فى عام ١٩٦٩ ، وأخرجت لمسرح الحكيم عام ١٩٧٠ (١) وللتـاريخ عنـدى أهمية كبيرة حيث يؤكـد كل ما خرجت به من تساؤلات حول المسرحية بعـد أن انتهيت من قراءتها ·

فعام ١٩٦٩ الذى انتهى فيه على سالم من تسجيل أحـداث مسرحيته على الورق يلى نكسة ٦٧ بسنتين · ولذلك جاءت المسرحية، ليس باعتبارها محاكاة أو معالجة دقيقة لأسطورة يونانية أو مصرية، ولكنها فى الاعتبـار الأول والأهم كانت وعاء أو قالبـا أو اطارا · يحتوى ، أو تصب فيه ، أو يحدد من الخارج معاناة مؤلفنا من جراء هزيمة سحقتنا ·· وهزتنا ·· بل أقول أنهـا أماتت فينـا كل

(١) كانت من اخراج الاستاذ جلال الشرقاوى ·

شيء ·· وقتئذ ·· بعد أن سحبت بسرعة ·· في ست ساعات أو أقل ، صلابة الأرض من تحت أقدامنا ··

لا أريد أن أتحدث طويلا حول نتائج نكسة ١٩٦٧ · والجو النفسي الذي ساد ، وأخلاقيات ما بعد النكسة حتى ولو كنت شابا وتدفعني فورة الشباب وحماسته الى الاسترسال · فيجب أن أنحى ذاتي ، الآن ، جانبا لأني بصدد تناول النص المسرحي ·

أزعم أن هدف على سالم الأول من كتابته لمسرحيته « انت اللى قتلت الوحش » كان طرح كل ما بداخله وبداخلنا من معاناة ناتجة عن هزيمة يونيو ٦٧ واعتبر أن على سالم نجح نجاحا بعيد المدى اذ طرح كل ذلك بأسلوب غير مباشر حين لجأ الى صب مضمونه أو فكره في قالب اسطورى أو حدده باطار أسطورة أوديب القديمة · وان كان لم يستطع رغم كل المحاولات المبذولة من جانبـــه لعدم الوقوع في الخطابية أو المباشرة ·· أقول لم يستطع على سالم أن يبتعد ابتعادا كاملا حيث أنه ابتنى مسرحيته أساسا بناء تعليميا ·· فنجده يعتلى خشبة المسرح في أحيان كثيرة مرتديا ملابس ترزياس الحكيم تارة وأوديب الملك تارة أخرى ليكسر الايهــــام الدرامى Dramatic Illusion ويخاطب جمهوره في لغة عربية فصحى تختلف عن اللغة التي أشاعها في بقية أنحاء مسرحيتـه والتي خصــصها للتشخيص الخالص · يخاطب جمهور المسرح الذي تقدم له المسرحية كابن لقرننا العشرين طحنته الهزيمة كما طحنتهم ·

واذا كنت قد وافقت على سالم على مسرحيته التي كنا بحاجة ماسة اليها أو كان مسرحنا المصرى يبحث عنها بدأب شــديد · وافقته على أن يقدم أو يطرح ما بداخله في مسرحيــة ترتـدى أى ثوب كان · فاني أعرف ســلفا أنني قد خالفت رأى الدكتـور ابراهيم حمادة الذي نشره في مقال له بجريدة « المساء » (١) وقت

(١) الدكتور ابراهيم حمادة · كوميديا أوديب فانتازية هادفة · جريدة المساء ــ ٢٨ فبراير سنة ١٩٧٠ ·

ان كانت تعرض المسرحيـــة على خشبة مسرح الحكيم وقد خالفت الدكتور ابراهيم حمادة وذلك لموافقتى على حرية تصرف على سالم في مادة الأسطورة ٠ ولكنني لا أوافق على سالم على طول الخط٠ ففى مقدمته التى سبقت النص المطبوع يحاول على سالم أن يناقش أشياء مرفوضة من أساسها مثل :

- ايمانه بأن أحداث اسطورة أوديب ليست الا الأحداث الحقيقية التاريخية لاخناتون ٠

- وان طيبة أو «ثيبة» التى تدور فيها أحداث الاسطورة ومسرحية سوفوكليس ليســـت هى طيبة اقليم « بيوتيا » فى اليونان ، وانما هى « طيبة الاقصر » أو « طيبة صعيد مصر » المطلة على نهر النيل ٠

- وان أبا الهول أو المغنية القاسية أو الكلبة التى تنشد أشـــعارا ليست الا « النداهة » المصرية ٠

- وان هيرودت المؤرخ هـــو الذى أوحى لســـوفوكليس بمادة مسرحيته ٠

تلك النتائج الخاطئة التى توصل اليها على سالم فى مقدمته التى لا أرى فيها فقط ســـوى ذكاء المؤلف فى اللف والدوران ٠ (كلمتان عربيتان) - للبرهنة على صحة تفسيره لهذا الاطار الجديد ٠٠ الغريب الذى حدد مادة مسرحيته من الخارج ٠ فضلا عن حماسته العاطفى لقوميته المصرية ٠

عرض للمسرحية وتحليلها

الفصل الأول :

ينقل على سالم أحداث مسرحيته من طيبة اقليم « بيوتيا » باليونان الى طيبة مصر القديمة أو الاقصر • حيث نرى على خشبة المسرح أمامنا أسوارها العالية وقد اعتلاها الأهالى أو تسلقوها ليعطونا الأحاسيس بمراقبتهم لشيء ما خارج السور •

وعلى يسار المسرح جزء من القصر الفرعونى حيث الشرفة التى ستطل منها الملكة ، كما يظهر فى هذا الجانب من المسرح معبد طيبة بصفي الكباش القابعين فيه • هذا وتحيط بالمكان مدرجات حجرية دائرية • وفى منتصف المسرح تتجه أنظارنا حيث توجد منضدة حجرية مستديرة تحتضنها أربعة مقاعد لجلوس أعضاء مجلس مدينة طيبة •

على يمين مقدمة خشبة المسرح يجلس أوديب وكامى •• وهما شخصان من عامة الشعب جلسا يلعبان الشطرنج •

ويقترب ترزياس من مقدمة المسرح ويثبت ليخاطب جمهور القرن العشرين ، كما خاطبهم كوكتو من خلال صوت مسجل ، أو يخاطبهم ترزياس كما تعودنا أن يخاطب الجمهور فى برولوج فى كوميديا اليونان القديمة حيث كان يتقدم أحد الممثلين العرض ليتحدث مع الجمهور فى أمر متعلق بالمسرحية التى ستعرض أو فى أمور خارجة عنها •

يهتك ترزياس عرض الايهام الدرامى « Dramatic Illusion » حين يتحدث مع جمهور المسرح عن طيبة عروس النيل ٠٠ الحزينة اليوم بعد فرح ٠٠ الفقيرة بعد غنى وثراء ٠ كل ذلك حل بعد ما حل أبو الهول على الطريق الوحيد المفتوح الى بلاد الشمال حيث منع التجارة من المرور بعد ما قتل من المسافرين من يستعصى عدهم على مدى شهور ثلاثة ماضية ٠ وينهى ترزياس حديثه مع جمهور المسرح أو قارئى النص بخبر وهو أن أستاذ علم الدراسات العقلية المبدعة وجراح الجمجمة الملكية « المدعو بتاح » قد ذهب أخيرا للتصدى لأبى الهول ولم يعد ٠

ويسأل أوديب ترزياس عن قيمة الجائزة التى سيحصل عليها الأستاذ « بتاح » من مجلس مدينة طيبة ان هو حل اللغز وقضى على الوحش ٠٠ فيخبره ترزياس انها خمسون ألفا من جنيهات طيبة الذهبية ٠

ويخرج ترزياس من المسرح ، لتطل جوكاست من الشرفة ، وتسأل كريون (رئيس الحرس فى طيبة) عما اذا كان قد وصل « بتاح » الى الوحش أم لا ؟ ٠٠ فيخبرها انه مازال فى الطريق ٠٠ ومنذ تلك اللحظة يبدأ المؤلف فى خلق جو من التشويق Suspense حيث يعلق أنفاسنا مع جمل حواره القصيرة السريعة التى تنطقها الشخصيات وهى تصف ما تراه من مباراة خطيرة بين وحش وانسان ٠

وتخيب آمالهم ٠٠ ويضعوا أيديهم فوق عيونهم ٠٠ وعلى آذانهم حتى لا يروا أستاذ الجامعة تقطع أوصاله ٠٠ أو يسمعوا أستاذ الجامعة حيث تمضغ عظامه ٠

ووسط خيبة الأمل تطالعنا سخرية أوديب من الحدث حيث لا يرفع عينه من فوق رقعة الشطرنج ٠ بل يكتفى بأن يقول :

ــ « كان ممكن أن يحل الفزورة ‥ لو هو رايح علشـــان يحل الفزورة » مش ممكن الواحد يفكر في الجايزة وفي اللغز في الوقت نفسه » (١) ٠

وينعقـــد مجلس مدينـة طيبـــة لبحث الكارثة ٠ فيقف « حورمحب » ــ رئيس كهنة آمون ومدير جامعة طيبة ــ ليعلن أنه يرى أنها مؤامرة للقضاء على ثروة طيبة العلمية ٠ ولذلك فهو يقرر عدم توجه أي أستاذ جامعي ناحية اللغز ٠ وهو بهذا لا يضع حلا للمشكلة بل يتركها ويبتعد عنها أو يتنصل من المسئولية بحجة الحفاظ على الثروة العلمية للمدينة ٠ هو لا يوظف عـــلم الجامعة وعقلها توظيفا علميا لمواجهة ذكاء أبي الهول وقوته وبالتالي القضاء عليه وعلى خطر طيبة ٠

وحجته في ذلك أيضا أنه لا يستطيع أن يهبـــط بمستوى علمائه وأساتذة جامعته ليواجهوا وحشا يلقى لغزا ٠ انه يريدهم أن يقابلوا وحوشـــا أخرى بشرط أن تكون أكثر جـــدية وتقدم دكتوراهات وماجستيرات على حد قوله ٠

وعنـــــدما يختلف « أونح » رئيس الغرفة التجـــارية مع « حورمحب » و « أوالح » رئيس الشرطة فنحن نجد جوكاســـت تتدخل لفض الخلاف والقاء بعض الضوء على شـــخصية « أوالح » رئيس الشرطة التي تتذكر أنه لم يعثر حتى اليوم على قاتل زوجها الملك ٠ وبذلك يحاول على سالم أن يقترب من الخطوط العريضة جدا للاسطورة ‥ حيث أن طيبة تعاني من خطر وحش هو أبو الهول ٠ وملكها قد قتل وزوجته مازالت أيما ٠ وقاتل الملك غير معروف ٠ الا أن قاتل الملك هنا ليس أوديب ابنه ٠ فأوديب لم يكن قط في

---

(١) على سالم ــ كوميـــديا أوديب ــ او انت اللي قتلت الوحش ٠ دار الهلال ــ القاهرة ــ ص ٣٢ ٠

مسرحية على سالم . ولدا للايوس أو لملك طيبة أيا كان اسمه ، وهو لم يضطر الى قتله أو لم يقتله بموجب وحى أو غيره . كل تلك أشياء ضرب بها على سالم عرض الحائط . حيث وجد أنهـا ستبعده تماما عن هدفه وغايته الأساسية من كتابه أنت اللى قتلت الوحش .

نعود لأحداث المسرحية :

ان « أوالح » لم يعثر على قاتل الملك لاهمـال أو تقصير فى عمله . وانما لم يعثر عليه لأنه لا يريد أن يعثر عليـه . ولاتفاق سابق بينه وبين الملكة . ها هو ذا يذكرها به .

ويطلب أوديب أو يقترح أن يذهب رئيس الشرطة « أوالح » لحل اللغز .. فتوافقه جموع طيبة وان كان هو الآخر « كحورمحب » يتنصـل من المسـئولية ، بل يكاد يصـعق عند سماعه اقتراح أوديب . ويتخلص من « الورطة » بأن يصف نفسه بالغباء فى مثل هذه المواقف الجادة .

ويسأله أوديب عن ذكائه الذى يصل من خلاله الى القبض على المجرمين فى طيبة .

وأمام الخطر يبوح « أوالح » بالسر . انه يعمـل فى دولة بوليسية .. يقبض على من كان يطلب الملك منه أن يقبض عليه دون أن يعرف ان كان مخطئا أم لا ؟ وغالبـا ما كان ذلك المجرم مظلوما . انها دولة قهرية لا تعرف عقلا أو تفكيرا هادئا أو منطقا ولعل على سالم يشير بذلك وبحاسته المرهفة لما كان يحدث فى مصر الحديثة من قبل مراكز القوى التى كانت تزور النـاس فى الفجر وتذهب بهم الى ما وراء الشمس حيث لا يعرف أحد عنهم شيئا أو هم لا يعرفون عما اقترفوه من ذنوب أو جرائم تستحق ذلك العقـاب

شيئا . ذلك الذى سجله على سالم ، بشجاعة نادرة ، فى هذا العمل الفنى وقت أن كانت تحكم هذه المراكز المنيعة مصر ، دون خوف أو جبن من جانبه ككاتب . سابقا بذلك كل المحاولات التى تستغلها السينما المصرية الآن للرواج التجارى على حساب ما كان يحدث فى تلك الفترة .

عودة للمسرحية :

وسط هذه المناقشات العقيمة .. يظهر ترزياس ليفيق طيبة من ضحكها ومرحهـا ونكاتها التى تقتـل احساس أهل طيبـة بالمسئولية .

وأكاد أسمع صوت على سالم نفسه . ناطقا بحوار ترزياس لابسا ملابسه .. مخاطبا شعب مصر لا شعب طيبة .. شعب مصر الذى واجه النكسة ببكاء مر أو ضحك وقهقهة عقيمة بليدة الحس شبهها على سالم بالغيلان التى كادت تأكل الاحساس بالمسئولية . ويطلب أوديب من ترزياس أن يطلعه على الحل الذى يراه .

ويرى ترزياس أن تطلع طيبة كلها لملاقاة الوحش . فان كان يلقى ألغازا حقا استطاعت أن تحلها بذكاء أذكيائها . واذا لم يكن هناك لغز . افترست طيبة مجتمعة الوحش بدلا من أن يفترسها هو واحدا واحدا .

ان ترزياس هنا يقترح أحد الحلول التى شاعت بعد النكسة للقضاء عليها ومواجهة وحشنا الاسرائيلى القابع شرق القناة وذلك بمواجهته بكل ما نملك من قوة . بغض النظر عن تقديرنا لمـدى فعالية تلك القوة بالنسبة له .. وهل هى ستقضى عليه أم ستبدد أمامه .

عموما أقول ان هذا الحل الذى اقترحه ترزياس قد كان أحد الحلول المقترحة فيما بعد نكسة يونيو ..

ويعود على سالم الى موتيفــــة القهر والقمع ومراكز القــوى المفضلة لديه أو الأثيرة والتى تشيع فى أنحاء المسرحية فى خفوت أحيانا وفى علو ووضوح وصراحة أحيانا أخرى يعـــود على سالم ليذكرنا بذلك من خلال رغبـــة أوالج رئيس الشرطة فى اعتقال ترزياس •• لمجرد أنه يقترح حلولا للمـــوقف لا تتوافق والمزاج الاوالجى •

ولكن كريون •• فى تلك اللحظـــة •• يعترض على مجرد التفكير فى اعتقال شخص بسبب آرائه •

ويعود على سالم لينوع على تيمة « Theme » القهر ومصادرة الحريات المفضلة لديه من خلال « أوالج » أيضا الذى يرى أوديب يلمح بمصادرة أوالج للحريات فيغتاظ أوالج ويمد يده لتنتزع أحد الجالسين واسمه « سنفرو » الذى نعرف انه كاتب مسرحى ، يسأله عما اذا كانت تقدم أعماله كلها بكل ما تحتويه من نقـد وآراء • فيوافقه الكاتب المسرحى مضطرا • ثم يعود فيسأله عما قاله فى آخر مسرحيـــة له • فيتساءل « ســنفرو » بدلا من أن يجيب • يتساءل قائلا :

– (يهمس) •: انهو مسرحية •• اللى انتو منعتوها •• ؟ (١)

مدللا بذلك على حقيقة ما يحدث • ومفجرا الضحك على كل من خشبة المسرح والصالة للتناقض الصارخ بين الأقوال والأفعال •

ويطلب « أوالج » من كريون أن يذهب هو للتصدى للوحش• فيعبر كريون عن استعداده الا أنه يقول انه مقـــاتل يستطيع أن يتفاهم بالسيف ولكنه يعجز أمام الكلمات •

وتطل جوكاست الملكة من الشرفة محاولة فض النزاع المستمر

---

(١) على سالم – كوميديا أوديب – أو انت اللى قتلت الوحش (ص ٤٤) •

والنقاش العقيم ، محاولة البحث عن عقل يتصدى للغز .. ساخرة من هذا الهروب من تحمل مسئولية انقاذ المدينة اليوم .. الذى يقابله تكالب وادعاء المعرفة وسعة الحيلة أمام اعلان وظيفة خالية .

ثم تتوجه جوكاست بكلامها الى شعب طيبة مباشرة فى لهجة طالبة آمرة فى ذات الوقت قائلة :

« يا أهل طيبة .. أكثركم حكمة .. أحدكم ذكاء .. أكبركم عقلا .. أوسعكم خبرة .. يتقدم ويحل اللغز . (١)

فيرد أوديب الذى يرى فى نفسه كل تلك الصفات التى عددتها جوكاست ليعلن انه هو الذى سيتصدى اللغز (ويزود على سالم هنا شخصية أوديب بأحد معالمها الأساسية وهى الثقة بالنفس الزائدة عن الحد ، أو الغرور) .

وتسأل جوكاست أوديب من أى مكان هو ؟ فلا يكترث هو بذلك . بل يطلب أن يتعرف بصراحة على مكافأته ان هو حل اللغز . فيعدد له « أونح » رئيس الغرفة التجارية ما يمنحه له من مزايا مادية وأدبية . الا أن أوديب لا يطلب سوى طيبة ويد الملكة . فيوافقوا بعد تردد شديد . (ويتضح لنا هنا الخلاف بين المسرحية والاسطورة حيث تقرر طيبة مكافأة قاتل الوحش فى الاسطورة ، أما هنا فأوديب ذاته هو الذى يملى شروطه قبل أن يقابل الوحش) .

وقبل أن يتوجه أوديب للتصدى للوحش وحل اللغز . نجد ترزياس يقف مستنكرا ما فعلته طيبة وسائلا ماذا كنتم فاعلين لو لم يكن أوديب بينكم ؟

الا أن كلام ترزياس يقابل بالاستنكار ومن جانب الشعب والملكة .

---

(١) على سالم ــ كوميديا أوديب ــ أو انت اللى قتلت الوحش (ص ٤٧) .

ويعود أوديب من ملاقاة الوحش ، لتستقبله طيبة بالتهليل والغناء وترديد عبارة : « **انت اللى قتلت الوحش** » ويحاول أوديب الكلام الا أن صوته يضيع وسط الصياح والغناء فيسكت ٠

وبعد انقضاء ، يوم ، نجد أوديب جالسا فى قاعة العرش ، حيث جـــاء (حورمحب) يطلب توجيهات أوديب الملك ٠ فيطلب منه أوديب عمل اجتماع للمجلس الأعلى لكهنة طيبة بعد الغروب ٠ الا أن « حورمحب » يبدأ فى عملية تأليه أوديب ٠ حيث نجـــده يخبره فى البداية أنه وجد اسمه وقد تردد سبع مرات فى وثائق بردى تلك الوثائق التى لا تدون فيها سوى أسماء آلهة أو بشر من صلب آلهة ٠٠ بشر غير عاديين ٠

ويفهم أوديب نية « حورمحب » فينهاه عن سلوك ذلك المسلك مرة أخرى ٠ ان أوديب فى مسرحية على ســـالم يعتز بانسانيته كثيرا ٠٠ ويعمل باستمرار على التأكيد على حقيقة كونه انسانا بعد أن « **خلع عنه على سالم أردية الالهية وارتد به الى طبيعة البشرية أو طبيعته كانسان** » (١) ٠

وما حدث مع « حورمحب » نراه يتكرر مع « أوالح » الذى يريد تملق الملك فيأبى ذلك ٠ وما أن يخرج « أوالح » حتى يدخل « كامى » صديق أوديب ٠٠ من كان يلعب معه الشطرنج فى بداية المسرحية ٠ لقد أتى لأوديب باحثا عن المنفعة عند صديقه القديم ٠ ولذلك نجده يرفع التكليف فى الكلام والحركة فيأبى أوديب ذلك فنجد يد « أوالح » تمتد كالاخطبوط من خلف العرش لتحيط بالفتى « كامى » الى حيث يلقى مصيره ٠

ويعلق ترزياس على الأحـــداث لينتهى الفصـــل الأول من المسرحية ٠

---

(١) جلال العشرى ٠ كتيب أ « بروجرام » المسرحيـــة ٠ مسرح الحكيم (١٩٧٠) ٠

الفصل الثانى :

بعد فصل المسرحية الأول الطويل المبنى بناء تقليديا ٠٠ أقصد بناء الفصل التقليدى الاستاتيكى نجد على سالم يغير تماما من بناء فصل مسرحيته الثانى • فقوامه سبعة مشاهد ٠٠ قصيرة سريعة ٠٠ متتالية ٠٠ أقرب الى ما يسمى بال «Flash» أو الومضات السريعة التى استفادها المؤلف من تكنيك مسرح العرائس الذى عمل به مدة غير قصيرة فى بداية حياته •

وتجىء مشاهد الفصل الثانى السبعة أقرب الى التنويعات المختلفة على لحن واحد أساسى هو محاولة **تأليه أوديب** •

فمن المشهد الأول : نلمح سريعا التنويعات على اللحن أو النغمة الأساسية فى هذا الفصل • فنحن الآن فى منزل المؤلف المسرحى « سنفرو » الذى تتحدث معه « أوالح » فى الفصل الأول من المسرحية حول قضية حرية الرأى « وحرية النشر والعرض والمنع » •

ففى صالة المعيشة فى منزل « سنفرو » التى ينص « على سالم » على أنها ذات أثاث شبه عصرى وان كان يغلب عليه الطابع الفرعونى ٠٠ ويطالع « سنفرو » مجلة عن غير رضا • بينما يلعب ابنه بلعبة ٠٠ وتلعب زوجته على آلة « هارب » كبيرة •

نفاجأ بالتليفون ٠٠ أحدث وسيلة اتصال فى العصر الحديث يدق فى منزل « سنفرو » ومن حوله أجهزة كهربائية أخرى تنقل

الصورة أو الصوت أو همًا معا ٠٠ أقصد نفاجأ مرة ثانية بجهازى راديو ٠٠ وتليفزيون ٠٠

ويرفع « سنفرو » سماعة التليفون ليرد على صديقه « كاعت » ثم يحضر الابن اليه طالبا اصلاح لعبته التى فسدت فى يده ٠٠ فيأخذها منه الأب ويعده باصلاحها الى أن ينتهى من عمل واجبه الدراسى اليومى ٠

ويعلق « سنفرو » على اختيار زوجته « نفر » للعبة الطفل ٠٠ ذلك الاختيار الغير موفق ٠٠ انها عبارة عن وحش وأوديب يقتله ، الا أنها ترد عليه بأن كل ما فى السوق من لعب أطفال أصبحت تعويذات مختلفة لتيمتى أوديب المنتصر والوحش المهزوم ٠

ولا تقف المشكلة عند هذا الحد ، بل نجدها تتأصل ٠ فأثناء مطالعة الطفل لدروسه نجده يقرأ اسم الوحش فى كتاب « المطالعة الوحشية » فيتضايق « سنفرو » من حصار أوديب للعب الأطفال وكتب المطالعة وأغنيات الراديو وبرامج التليفزيون والمسرح ٠

وفى المشهد الثانى : نجد نفس اللحن تتردد نغماته بتوزيع جديد فى جامعة طيبة حيث يقف « حورمحب » ليحاضر فى الطلبة مؤلها أوديب حيث يقول :

— « أقول انه لا يمكن لبشرى أن يحل اللغز الا اذا كان من صلب الآلهة ٠٠٠ ولذلك تمكن أوديب من حل اللغز ٠٠ راجع من صفحة ١٥ الى صفة ٣٤٠ من رسالة الدكتوراه الخاصة بسيادتنا ٠٠ والتى تحدثنا فيها عن الأصول الالهية التى ينحدر منها صاحب الجلالة أوديب رع » (١)

من الحوار نعرف أن الجامعة بدأت تؤصل علاقة أوديب بالآلهة

---

(١) المسرحية ص ٧٢ ٠

أو أصله الالهى كل ذلك بدافع جعله مميزا عن الناس ‥ وغير عادى ٠

وفى نفس المشهد نرى أوديب يحتفل بالذكرى الخامسة لقتل الوحش ‥ وهو يريد أن يتحدث فى الناس ‥ الا أننا لا نسمع منهم سوى هتاف منتظم لعبارة : « انت اللى قتلت الوحش » التى تلقنهم ‥ بل وتحفظهم اياها جميع وسائل الاعلام الحديثة التى اخترعها أوديب ضمن ما اخترع من مبتكرات علمية حديثة نقلت طيبة حضاريا مسافة خمسة آلاف سنة ٠

★★★

وينتهى المشهد الثانى ‥ لنجد **المشهد الثالث** : كله تدور أحداثه حول أساليب « أوالح » البوليسية الخطيرة فى استجواب شخص تردد أنه يشكك فى صحة قضاء أوديب على اللغز ٠ فيلفق له « أوالح » الاتهامات ‥ فيموت بين يديه ٠ فلا يتورع عن القائه من سطح المبنى بعد أن مات ، وادعاء انتحاره فى محضر التحقيق ٠ لينهى بذلك حالة من الحالات الكثيرة التى يتعامل معها بطرقه المريبة ٠

وتلك كانت احدى التنويعات على النغمة الأساسية وان بدت للوهلة الأولى فى شكل غريب وغير مباشر ٠

★★★

وفى **المشهد الرابع** : يعكس لنا على سالم انشغال أوديب فى أبحاثه عن كل شيء سواها ، وذلك فى شكل فنى غير مباشر ‥ من خلال قلق وضيق زوجته التى تعلن « لأوالح » انها لم تره من يوم زواجهما سوى أربع مرات فقط على مدى خمس سنوات كاملة أو يزيد ٠

بل انها تحمل « أوالح » مسئولية كل ذلك ·· فهو الذى مدح لها رجولته وشجعها على الموافقة به كزوج · انها تطلب منه التخلص من أوديب كما سبق وتخلص من لايوس · ولكنه يرفض مبديا السبب ، وهو أن أوديب غير لايوس · حيث أنه يعيش فى قلوبهم بمخترعاته وحرصه عليهم » · ويقترح « أوالح » أن تستخدم جوكاست سلاح المرأة الكامن فى جمالها وسحرها الذى يصفه بأنه أقوى من قنبلة ذرية ·

لكن جوكاست تقول انها فشلت فى استخدام ذلك السلاح منذ مدة غير قصيرة · فيقترح « أوالح » استخدام طريقته التقليدية ·· وهى سيكولوجية أكثر من أى شىء آخر · وتكمن فى محاولة هدم ما يبنيه أوديب وخصوصا كمية حبه لدى الناس ·· وذلك من خلال المغالاة فى فرض حب الناس له ·

ثم يصور على سالم فى نفس المشهد « أونج » رئيس الغرفة التجارية الذى يستفيد من كل اختراعات أوديب ومن عوائدها المادية الضخمة · وان كان لم ينس استجداء رضاء من حوله ومنهم « أوالح » الذى نراه يطلب المزيد ·

★★★

وفى **المشهد الخامس** : الذى لا يزيد عن جملة من ثمانى كلمات فقط يرددها أهالى طيبة فى مهابة وقداسة ·· وخشوع · تنقل الينا استسلام المدينة لادعاءات المعبد حول تأليه أوديب ·· فهم يرددون هذه الجملة :

– « أوديب رع ·· انت اللى قتلت الوحش ·· أوديب رع ·· » (١)

---

(١) المسرحية ص ٨٢ ·

وفى **المشهد السادس** : نجد أوديب مبهورا لسماعه ومشاهدته شعب طيبة وقد قدسه بهذه الطريقة التى ينكرها أوديب ·

فنجده يجتمع « بحورمحب » و « أوالح » من أجل ذلك ·· وهو عندما يسأل « أوالح » نجده – أقصد أوالح – يرجع السبب فى ذلك الى احترام الأهالى للملك · الا أن أوديب يسأله عما اذا كان قد أصدر بيانا بتأليه أوديب · فينكر « أوالح » ذلك · وان كان يرجع ذلك ربما لتسرب الخبر من القصر ·

ولكن « حورمحب » يعترف لأوديب – صراحة – أنه لا يردد العبارات حول تأليه أوديب فقط وانما هو يدرس ذلك فى مراحل التعليم المختلفة ·

وعندما يستنكر أوديب ما يحدث · ويطلب رأى كريون نجد كريون سلبيا ·· ضيق الأفق ·· منغلقا على نفسه ·· فهو يرى أن السياسة ليست عمله ·· ولكن الحفاظ على النظـــام فقط هو ما يراه مناسبا له ·

وكلما حاول أوديب أن ينفى صـــفة الألوهية عن نفسه نجد «حورمحب» يشرح له ضرورة ذلك للملك · وهو النظام الذى تواضع شعب طيبة عليه · ويحاول أوديب أن يفهم « حورمحب » أهمية قانون التطور · أقصد تطور الحاكم من الاله الى الانسان العادى ولكن « حورمحب » يطلعه على سر خطير ·· وهو أن جميع من حكموا طيبة قبله ما كانوا سوى بشر عاديين أحاطهم معبد آمون بهالة من القدسية والالهية ·· ليستطيعوا مواجهة الواقع ·

ومن هنا ، لا يستطيع أوديب صاحب مخترعات طيبة الحديثة التى نقلتها حضاريا مسافة خمسة آلاف سنة ·· لا يستطيع أن يقنع « حورمحب » بوجهة نظره ·

وينتهى المشهد السادس ··

يبدأ **المشهد السابع** ·· آخر المشاهد فى الفصل الثانى من المسرحية ·· يبدأ « بترزياس » ويقف أوديب وسط ساحة المدينة التى لاحقها التطور ·· يقف ترزياس ·· مخاطبا جمهـــور القرن العشرين ·· ملخصا أو شارحا ما فات من أحداث الفصل الثـــانى كاملة ·

يتحدث ترزياس عن أوديب المنتصر ·· والوحش المقتول ·· تلك النغمة السائدة على لسان شعب طيبة اليوم ·· وأوديب الذى اختصر لطيبة خمسة آلاف سنة من عمر الزمان ·· ومجلس المدينة المستفيد من تلك النقلة الزمنية والحضارية ·

وعن الانسان يقول ترزياس :

— « ·· ومن الغريب ، أن الانسان ، ظـــل لآلاف السنين وسيظل الى الأبد ·· هو الحل الوحيد لكل الألغـــاز ·· سيظل الانسان هو النغمة الصحيحة الواضـــحة بين كل الألحان الرديئة على مر العصور ·· ومن الغريب أيضا أن هذه الحقيقة الواضحة وضوح الشمس فى نهار طيبـــة ، كثيرا ما تغيب عن أذهـــان الكثيرين من الملحنـــين الذين يصنعون للشعوب موسيقاهم » (١) ·

وأظن أن « ترزياس » قد قال كل ما يمكن أن يقال ·

ثم يخرج « ترزياس » ليظهر أوديب فى شرفة القصر ·· ويتجمع الأهالى حول الشرفة حيث يعلن فيهم أوديب أنهم يحتفلون اليوم بذكرى أو عيد مقتل الوحش ··· وبينما الاحتفال فى أوجه « ترتفع صيحة هائلة لانسان يتعـــذب ·· الأهـــالى يتسمرون فى أماكنهم فى هلع ·· يدخل أحد الأشخاص من السور مندفعا وقد

(١) المسرحية ص ٩٢ ·

غطى الدم وجهه وكل جسمه ‥ ومازال الرجل يصـــيح صيحات بشعة ‥ ويرتمى على الأرض بين الأهالى صائحا :

– وحش ‥ وحش كبير قوى ‥ جنب الســـور ‥ كل رجلى ‥ آه حاموت ‥ (١) ٠

وينتهى المشهد بين استنكار « أوالح » لحقيقـــة ما يراه ‥ وخوف « سنفرو » مما يراه وهلعه ٠

وفكرة استرجاع الوحش أو عودته ليست من ابتكار على سالم وانما هى مستوحاة من رجوعه فى مسرحية على أحمد باكثير التقطها على سالم ، وبحس مرهف أكسبها صلاحيات وتأثيرات جديدة لم تنبع من قدرتها على انتزاع الضحكة فى مسرحية المفروض أنهـــا كوميديا ، ولكن من قدرتها على ادرار الدمعة أو تجميد الانفعال اذا صح التعبير ٠

★★★

ونصل معا الى الفصل الثالث أو آخر فصول المسرحية ، لنجد طيبة وقد ووجهت بالخطر من جديد ٠ ولكن ماذا ستفعل هذه المرة فى مواجهة الخطر ؟

– ان «أوالح» يقف ليشرح أبعاد الموقف من خلال تقرير كلفه بعمله مجلس المدينة ٠

ويقول التقرير ان الوحش ليس هو الوحش السابق الذى قتله الملك ٠ وانما هو وحش جديد على هيئة أبى الهول أيضا ٠

ونحن نعـــلم من ذلك أن مجلس المدينـــة ينفى أى محاولة للتشكيك فى قضاء أوديب على الوحش السابق ٠

---

(١) المسرحية ص ٩٥ ٠

ثم يضيف « أوالح » أن الوحش قد هاجم خمسة وثلاثين شخصا التهم منهم ، ثلاثين وأصاب الباقين ·

وأخيرا يقول أنه ليس لديه دليل على أن الوحش يلقى ألغازا ·

ويجتمع مجلس المدينة ، وتحدث مشادة بين مجهول و « أوالح » تؤدى الى خلاف بين أوالح وتريزياس ·

ويرى « أوالح » أن « كريون » هو المسئول عن القضاء على الوحش بصفته المسئول عن حراسة طيبة وأمنها ·

ويأبى كريون أن يفعل شيئا الا بعد أن يعرف كل الحقائق اللازمة عن الوحش ·· حجمه ·· سمك جلده ·· مدى ابصاره ·· نقاط ضعفه ·· سرعته ·· وقت نومه · حتى يستعد له ويدرب جنوده على كيفية القضاء عليه وحتى لا تتحول الحرب الى « خناقة » كما يريد « أوالح » أو الى « انتحار جماعى » كما كان يرى ترزياس من قبل ·

ورغم كل تكتيكات « كريون » التى تنم عن ذكاء · الا أنه يتراجع فى النهاية ليقول : « فيه طريقة تانية أسهل ·· جلالة الملك أوديب رع زى ما خلصنا من الوحش الأولانى ·· يخلصنا من الوحش التانى ومفيش داعى حد يتعب نفسه ·· » (١)

لكن « حورمحب » يعارض رأى كريون الأخير · لأن التقاليد الفرعونية تمنع تعريض حياة فرعون لاحتمالات الخطر ·

وتظهر « جوكاست » من شرفة القصر ·· حيث تسأل عن الموضوع الذى من أجله اجتمع مجلس المدينة ·· فيقولون لها ان الوحش قد عاد · وكأنها فى نوم عميق كانت ·· بعيدة عن طيبة وآلامها فى برج عاجى مرتفع ···

---

(١) المسرحية ص ١٠٣ ·

وتسألهم (جوكاست) : بلغتوا أوديب ؟ (١) ٠

فيرد عليها « أونج » بأنه فى معمله يتم أخطر اختراعاته ٠ الا أنها تطلب منه أن يبلغه ليحضر ٠ وكأنها قد وجدت الفرصة التى طالما سعت اليها ٠٠ فرصة الخلاص من أوديب ٠

ويحضر أوديب ليواجه الأهالى ٠٠ يواجههم بامكانيـة ذهابه لحل اللغز ٠٠ ولكنه يسألهم عما هم فاعلين اذا مات أوديب ؟

فيكون ردهم : أوديب يموت ؟

ويحاول أوديب فى تلك اللحظة أن يمحو فكرة تأليهـه من أذهانهم ٠٠ تلك الفكرة التى ستقضى على كل الحضـارة التى نقلها أوديب لطيبة ٠٠ والتى يهددها الآن ، وحش ٠

يقول أوديب لأهالى طيبة : لن يستحق حضارته من لا يستطيع حمايتها من الخطر ٠

وان عليهم الآن مسئولية الخروج ـ جميعا ـ لملاقاة الوحش والقضاء عليه ٠

ويهب « تريزياس » واقفا مؤيدا كل ما قاله « أوديب » ـ فيحس شعب طيبة الذى يصيح « الوحش » ٠٠ « الى الوحش » ٠٠ ويتجه الى أسوار طيبة ٠٠ بينما يقف أوديب مفكرا فى ذلك الوحيد الذى لم يخرج لملاقاة الوحش ٠٠ أقصد « أوالح » الذى يتحجج بأمن طيبة الداخلى ٠

وينتهى هذا المشهد الأول بارتفاع ايقاع المعركة ٠٠٠

★★★

---

(١) المسرحية ص ١٠٤ ٠

وفى **المشهد الثاني** : « من الفصل الأخير تنهزم طيبــة أمام الوحش . تنهزم لأنها خرجت فى همجية وجهل ودون أدنى تخطيط لتواجه ذلك الوحش . فلم يفعـــل « كريون » ما كان يريده من دراسة كل الظروف المحيطة بالوحش ومعرفة كل المعلومات حـتى يدخل المعركة مستنير الذهن وحتى لا تتحول الحرب الى « خناقة » أو « محاولة انتحار جماعية » . لقد وقع « كريون » وطيبة كلها من بعده فى الخطأ . وقعوا جميعا فى نكسة ٦٧ التى وقعت فيها مصر نتيجة سوء تقدير حقيقة العـــدو أو الوحش الخصم .. وخوض المعركة وكأنها « خناقة » .

ويعـلن كريون تحمله مســـئولية الهزيمة كاملة ثم يناقش مشكلة الرجل المقاتل الانسان ذلك الذى يمسك بالسلاح ليحركه ويصوبه ويقاتل به . والذى تكمن المشكلة بداخله هو أساسا . مشكلة صنعه كانسان .

ويظهر تريزياس ليفتح عين أوديب على اختراع لم يتنبه اليه وهو الخوف .. ذلك الذى أفسد مفعول جميع اختراعاته وكاد يحطم الانسان .. الخوف من « أوالح » .

وينفى « أوديب » أوالح خارج أسوار طيبة . حيث نجد « أوالح » مستعدا لملاقاة ذلك ومتسلحا بعقد عمل فى « بابل » .

وقضاء على ســالم على « أوالح » مركز القـــوى والتخويف والتعذيب هو تنبؤ منه كفنــان بعيد النظر بما حـــدث بعد ذلك بسنوات فى مصر من القضاء على مراكز القوى واسقاطها .

وبعد رحيل « أوالح » يبدأ أوديب فى التخطيط العلمى السليم للقضاء على الوحش . معتمـــدا فى ذلك على اثنين ثبت له أنهما مخلصين لطيبة وله . هما « كريون » و « تريزياس » .

ويرى ترزياس أن نقطة البداية تكمن فى محافظة أوديب على حب طيبة له • فيطلب منه أن يحافظ على هـــذا الحب بمصارحة الشعب بالحقيقة •• حقيقة أن **البطـــل الفرد** لا يستطيع وحـده باستمرار القضاء على الوحش •

ويخرج أوديب للشعب ليطمئنهم على طيبة • ويزف اليهم خبر طرد « أوالج » من طيبة •• الذى هو طرد للخوف بعيدا عنها •• بل ويعلن لهم أخطر الحقائق وهى أنه لم يقتـــل الوحش فى المرة السابقة ، فالانسان بمفرده من الصـــعب أن يقتل وحشـا يهاجم مدينة •

★★★

وفى **المشهد الثانى** للمسرحية يحاول على سالم أن يحــدد بالضبط ما يريد أن يكشفه •

فتريزياس يقف ليعلن « أن نقطة البداية الحقيقية لاعـادة صنع الانسان من أجل اطلاق كل الطاقات الابداعية بداخله هى أن نحرره من الخوف والقلق والشك » (١)

ولكن تكمن المشكلة حين يسأل أوديب عن كيفية ذلك ؟ •• حيث يعجز ترزياس الحكيم الذى لديه اجابات شافية وافية لملايين الأسئلة •• يعجز عن الاجابة عن سؤال أوديب ويكتفى بأن يضع من يجيب عليه فى مصاف الحكماء والفلاسفة • وعندما يلوح الحل على وجه كريون ويكاد يخرج من فمه نجـــد أوديب يطلب منـه ألا يقوله •• بل ينفذه مع تريزياس بكل حماس الشباب •

بينما يطلعهم أوديب على نيته هو فى أن يترك القصر من أجل البحث عن المعرفة التى رغم كل معرفته أحس أنها تنتقصه •

---

(١) المسرحية ص ١٢١ •

ويخرج أوديب راحلا . بينمــــا يخبر كريون تريزياس أنه سيدفع أكبر ثمن من أجل شراء طيبة . وهو يقصـــــد بذلك أنه سيهب نفسه من أجل مواجهة الوحش .. ان قضى عليه كان بها .. وان قضى عليه فسيعتبر شهيدا فى نظر الجميع قد دفع من موته ثمنا للحياة .

ويذهب كريون لملاقاة الوحش . ونعلم أنه مات أو استشهد فى ضوء الفكرة الجديدة ليعلن تريزياس فى الشعب كله « أنه لابد من الموت فى سبيل الحياة ، وأنه بالموت لن يخسر الانسان سوى خوفه .. وأن حياة يتهددها أبو الهول خير منها الفنــاء . » ثم يخبرنا تريزياس أن طيبة بدأت تعرف الحل جيدا .

وتنتهى المسرحية ..

الشـــخصيات : « Characters »

أوديب :

أوضح على سالم فى شخصية أوديب حرصه على التغيير ‥ ملاءمة مفهوم التطور · ليشمل هذا التعبير كل شىء وليصل حتى اله المعبد وقصر الملك · فهو يؤمن بالانسان ايمانا كبيرا لا تحده حدود وهو يعتز بانسانيته وينفى عن نفسه أى محاولة من جانب الآخرين لرفعه وتأليهه ·

وان كان المؤلف لم يستطع أن يكسب شخصية أوديب لونها المحدد منذ البداية وحتى النهاية ففى الفصل الأول قبل أن يصبح الملك ، نراه وقد فاح الغرور من فمه عندما يجيب الملكة بعبـــارة « أنا يامولاتى » عندما تسأل أهل طيبة من أكثرهم حكمة وأحدهم ذكاء · وأكبرهم عقلا ‥ وأوسعهم خبرة ‥ ليتقدم ويحل اللغز ·

ثم هو الذى يطلب جزاء ما سـينجزه من فعـــل ‥ الملك والملكة ‥ ذلك الذى لم يعرض عليه بل طلبه وألح عليه · بل وتوجه لحل اللغز أو القضاء على الوحش بعد أن ضمن الموافقة على طلبه · فهو بذلك شخص تهمه مصلحته الشـــخصية لا مصلحة وطنه · وان كان فى نهاية المسرحية · وبعد أن أصبح ملكا نراه وقد تغير لونه تماما ‥ أبقى على سالم على ذكائه الى النهاية لكنه الذكاء المحدود بضـيق الأفق وقصر النظر · والذى اعتبره نقطة ضـعفه أو ما يعادل السقطة فى التراجيديا « Hamartia » فأوديب لم يشمل

ادراكه كل ما حوله • ولم يستطع تغيير ما عزم عليه • واكتفى فقط بنقل طيبة حضاريا الى صناعة المدينة والحضارة ، الى اختراع الخلاط والراديو ، الأمر الذى جعل من حضارته حضارة هشة بلا مضمون ، حضارة لا تقوى على مواجهة أى وحش همجى يهب عليها من الصحراء • (١)

ان أوديب يطلب من شعب طيبة مالم يطلبه هو من نفسه عندما قرر أن يذهب لمواجهة الوحش • فهو يريد أن يكون شعب طيبة أكثر وطنية وتضحية منه • بل يتحول الى حكيم كتريزياس يسدى النصح للشعب •

جوكاست :

أكثر الشخصيات مخالفة للمألوف هى شخصية جوكاست • وأقصد بذلك مخالفة للاسطورة والمسرحيات التى عالجت الاسطورة • وقد سبق أن تحدثت عنها كثيرا فى تحليلى وعرضى لفصول المسرحية •

لقد لعبت جوكاست دورا صغيرا جدا فى « انت اللى قتلت الوحش » بعد أن غير على سالم من ملامحها •

انها هنا جوكاست المرأة •• المرأة التى استبدلت رجلا برجل •• بل وتآمرت على الأول •• وأيضا حاولت التآمر على الثانى • امرأة تبيح على المسرح عن معاناتها وحرمانها الجنسى لهجر زوجها لها • بل هى تذكر « لأوالح » أن أوديب لم ينم معها على مدى خمس سنوات سوى مرات أربع وهى تحمل أوالح مسئولية زواجها من ذلك الذى خيب آمالها فيه بانصرافه عنها الى حيث اختراعاته •

(١) جلال العشرى • المسرح أبو الفنون • دار النهضة العربية ـ القاهرة ص ٨٧ •

وهى لذلك أول من يطلب حضور أوديب الملك لحل اللغز مرة أخرى عندما عاود الوحش الظهور وذلك عساها تكون نهايته هذه المرة ·· امرأة غريبة جدا ··

تريزياس :

هو صوت على سالم نفسه أو الستار الذى تخفى وراءه عندما أراد أن يحدث جمهوره · وهو تريزياس التقليدى ·· الأعمى ·· البصير الحكيم ·· العاقل ·· الذى وصفه على سالم على لسان احدى شخصياته قائلا :

ـ جد جد جدى ، سمع من جد جد جده ·· أنه كان موجود قبل ما يتولد » (١)

كريون :

غايرت صورته فى المسرحية كل صوره السابقة · فهو خير ·· محب لطيبة وأوديب ، ومخلص لهما ، مهمته حراسة أمنها ··

صوره على سالم منغلقا على نفسه ، يسير فى دائرة مغلقة ، ويفصل السياسة ويباعد بينها وبين عمله كمسئول عن أمن طيبة · كل ذلك عندما طلب أوديب منه أن يشاركه التفكير والرأى ··

ولكنه فى النهاية يتحول الى الانسان الذى يتحمل المسئولية الكاملة أمام انتكاسة طيبة · بل ويفكر فى حلول علمية موضوعية للخروج منها ·

ثم يرمى بنفسه بين مخالب الوحش ليحقق فكرة الشهيد اللازم للحث على الثورة · وادراك الحقيقة والبعد عن التخاذل والتواكل ·

---

(١) على سالم ـ انت اللى قتلت الوحش ـ ص ٤٣ ·

مصادر ومراجع البحث

المصـــادر :

- سوفوكليس • مسرحية « أوديب ملكا » ترجمة : د• طه حسين من الأدب التمثيلي اليوناني ـ دار المعارف ـ القاهرة •
- اندريه جيد • مسرحية « أوديب » • ترجمة : د• طه حسين ـ مطبوعات كتابي •
- جان كوكتــو • مسرحية « الآلة الجهنمية » ترجمـــة : فتحي العشري • مكتبة الانجلو المصرية •
- توفيق الحكيم • مسرحية « الملك أوديب » ـ مكتبة الآداب •
- توفيق الحكيم • مسرحية « بجماليون » ـ مكتبة الآداب
- علي أحمد باكثير • مسرحية « مأساة أوديب » ـ مكتبة مصر ـ الفجالة •
- علي سالم • مسرحية « انت اللي قتلت الوحش » أو « كوميديا أوديب » دار الهلال •
- ســوفوكليس • مسرحية « أوديب في كولونا » ترجمـــة : د• طه حسين ـ مطبوعات كتابي •
- توفيق الحكيم • قالبنا المسرحي • مكتبة الآداب
- د• ابراهيم حماده • معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية ـ دار الشعب •

المراجـــع :

- أرسطو • فن الشعر • ترجمة : د• شكرى عياد ـ الهيئـــة المصرية العامة للكتاب •
- عز الدين اسـماعيل • قضايا الانســـان فى الأدب المسرحى المعاصر • دار الفكر العربى •
- د• أحمد شـمس الدين الحجاجى • الأســـطورة فى المسرح المصرى المعاصر (جزأين) ـ دار الهلال •
- فرانك • م• هوايتنج المدخل للفنون المسرحية • ترجمة : كامل يوسف وآخرين ـ دار المعرفة •
- نبيل أحمد صادق : الجماليات عنـد جان كوكتـــو • رسالة ماجستير بمعهد النقد الفنى •
- جلال العشرى • المسرح أبو الفنون ـ دار النهضة العربية •
- كتيب مسرح الحكيم « بروجرام مسرحيـــة انت اللى قتلت الوحش » ١٩٧٠ •
- مجلة المسرح ـ العدد (٣١) ـ يونيو ١٩٦٦
- الاردايس نيكول ـ المسرحية العالمية ـ الجزء الأول ـ ترجمة : عثمان نويه • مكتبة الانجلو المصرية •
- أوديسة هوميروس ـ ترجمة : أمين سلامة ـ دار الأدباء •
- فرنسيس فرجسون ، فكرة المسرح • ترجمة جلال العشري • دار النهضة العربية
- محمد عصمت حمدي : الكاتب العربى والاسطورة • (الكتاب الأول) ـ المجلس الأعلى لرعـــاية الفنون والآداب والعـــلوم الاجتماعية •

- فوزى فهمى أحمد • المفهوم التراجيدى والدراما الحديثة (الكتاب الأول) ـ المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية •
- توفيق الحكيم • الملك أوديب • المقدمة ـ مكتبة الآداب •
- جلال العشرى • لن يسدل الستار • مكتبة الانجلو المصرية •
- د• ابراهيم حمادة • كوميديا أوديب فانتازيه هادفة • جريدة « المساء » ١٩٧٠/٢/٢٨ •
- د• محمد مندور • مسرح توفيق الحكيم مكتبة نهضة مصر ـ الفجالة •
- د• رشاد رشدى • نظرية الدراما مكتبة الانجلو المصرية •

فهـــرس

الباب الثانى

الباب الثالث

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢١٨٥/١٩٨٣

ISBN ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ١٦١ ـ ٣

الكتاب دراسة هامة وممتعة حول الأسطورة اليونانية القديمة والشكل الذى اتخذته فى كل من المسرح الفرنسى المعاصر عند أندريه جيد . وجان كوكتو . وفى المسرح المصرى المعاصر عند توفيق الحكيم . وباكثير . وعلى سالم . فالأسطورة القديمة تتحول فى المسرح الحديث إلى مادة جديدة ترفض أن يكون الإنسان لعبة فى يد القدر . وتطرق أبواب «اللغز» والمجهول بإرادة إنسانية بصيرة واعية . وتخلص وجه أوديب مما تراكم عليه على مر السنين . وتضفى عليه القلق الإنسانى . وتكسبه تعبيرات لم يعرفها من قبل . ويظل خلف كل إضافة جديدة .. ذلك الفن العظيم الذى هزم الزمن . ومازال قادرا حتى اليوم على أن يستنبت من القديم نبض الزمن المعاصر .

مطابع الهيئة المص

١٢٠ قرشـــا